الحوار

الحوار العدد ٧٩ السنة ٢٩ ٢٠٢٢م

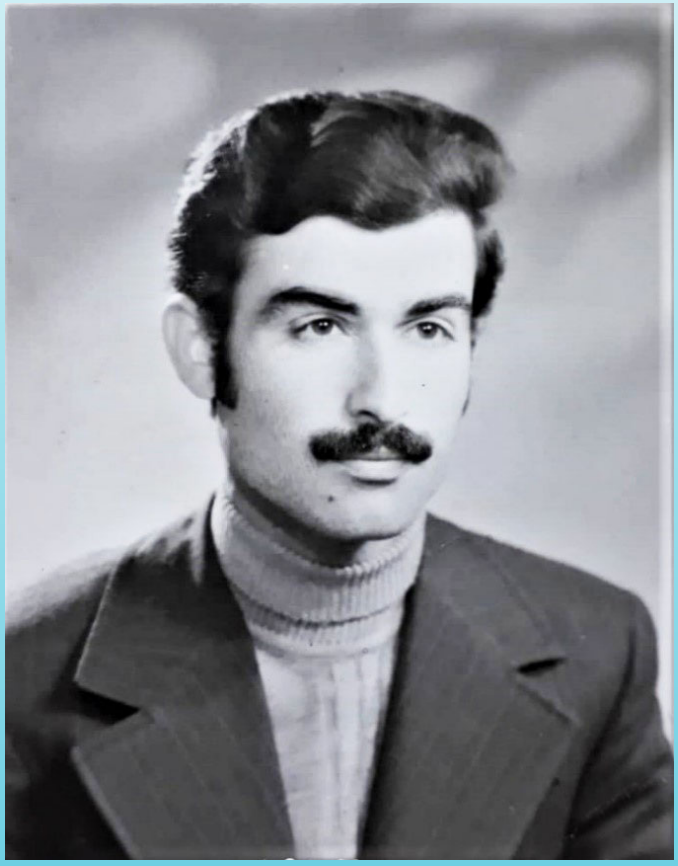

ملف العدد:

الحوار الكوردي – العربي: الضرورات الاجتماعية والسياسية (٤)

الـحـوار

مجلة ثقافية فصلية حرّة تهتم بالشؤون الكردية

وتهدف إلى تنشيط الحوار الكردي - العربي

تصدر في: سوريا ـ قامشلي

منذ عام ١٩٩٣م

رئيس التحرير

د. آزاد أحمد علي

العنوان: قامشلي- شارع الجسرين.

للمراسلة:

رئيس التحرير: azad48412@gmail.com

أسرة التحرير: kurdox88@gmail.com

أسرة التحرير:

- د. آزاد أحمد علي
- نواف بشار عبد الله
- سلمان بارودو
- محمد دلي
- د. بدرخان علي

* الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.

* أفضلية النشر للدراسات والمقالات الجديدة والموثقة علمياً.

* تحبذ المجلة عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:

- أن تكون المادة جديدة، منقحة ومنضدة ولم تنشر من قبل.

- الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:

اسم المؤلف - عنوان الكتاب - مكان الطباعة وتاريخها- رقم الصفحة.

- تثبيت الإشارة إلى الروابط الالكترونية في الهوامش بوضوح.

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

- صورة الغلاف الأول: الأستاذ إسماعيل عمر (١٩٤٦ – ٢٠١٠)م

- صورة الغلاف الثاني: مشهد للملكة أوقنيتوم تظهر فيها برفقة ابنتها وزامينا ووصيفاتها إلى جانب العازفات، من أوركيش عاصمة المملكة الحورية في الألف الثاني ق. م.

محاور واهتمامات مجلة «الحوار» للأعداد القادمة

القرّاء والكتّاب الأعزاء...

أسرة تحرير مجلة «الحوار» تقترح عليكم المساهمة في ملفاتها للأعداد القادمة، والتي تتوزع على الشكل التالي:

- **موجبات الحوار الكردي- العربي والحوار السوري – السوري، ضروراته الاجتماعية والسياسية.**
- **مستقبل سورية السياسي في ظل المتغيرات الراهنة.**
- **تاريخ القرى الكردية وجوانب من حياتها الاجتماعية.**
- **دراسات في الأدب واللغة الكردية.**
- **دراسات ومواضيع حول: الآثار، التاريخ الكردي، الفلكلور.**
- **الهجرة بأشكالها (الأسباب ... النتائج ... الحلول).**
- **قراءات في الكتب والمطبوعات، الوثائق والخرائط.**

يمكنكم اختيار أي جانب من المحاور المذكورة أعلاه، ونرحب في الوقت نفسه بجميع الدراسات والمساهمات الواردة إلينا بخصوص المواضيع المحددة في سياق المحاور المقترحة أو خارجها.

كما نرحب بأية ملاحظة أو نقد يرد إلينا بخصوص مجمل تجربتنا السابقة، أو أي مادة نشرت فيها.

وذلك بهدف الارتقاء بالحالة الثقافية والفكرية الكردية نحو أفق أكثر ديمقراطية وتنويراً، ونتعهد بتأمين المناخ الديمقراطي الذي يوفر حرية عرض وجهات النظر كافة، والرأي المختلف، لجميع أصدقائنا وقرائنا في الوسطين العربي والكردي على حد سواء.

وذلك لنشر ثقافة عقلانية مستنيرة ووعي متقدم يحيط بحقيقة مشكلات واقعنا بكامل أبعاده.

وبهذه المناسبة ننوه إلى أن مجلتنا متوفرة على شبكة النت عبر:

موقع نوروز: **www.yek-dem.net**

وصفحة الحوار: **https://www.facebook.com/alhiwarmagazine /**

الافتتاحية

بدايةُ تشكُّلِ نظامٍ عالميٍّ جديدٍ

إثرَ تحشداتٍ عسكريةٍ مكثفةٍ على مدى شهورٍ، تحضيراً لغزوٍ روسيٍّ مخططٍ على أوكرانيا الموالية للغرب، أوكرانيا التي يسكنُ جزءَها الشرقي مواطنون من أصولٍ روسية موالين للاتحاد الروسي، والتي أقدمتْ روسيا على اقتطاع شبهَ جزيرة القرم منها في مارس ٢٠١٤ وضمّها لأراضيها بموجبِ استفتاءٍ شعبي لم يحظَ باعترافِ جمهورية أوكرانيا والدول الغربية التي وصفتْه بالاستفتاء غير الشرعي. ووسطَ توتر وتلبُّدِ الأجواءِ بين الرأسمال الصناعي في كلٍّ من روسيا والدول الغربية، وفُقدان هيئة الأمم المتحدة لدورها الريادي في تطبيق القانون الدولي نتيجةً لتصاعد حدة الصراع الدائر بين قواها الكبرى على مناطق النفوذ ومصادر الطاقة، شنّت القوات الروسية بتاريخ ٢٤ شباط ٢٠٢٢ هجوماً عسكرياً برياً وبحرياً وجوياً شاملاً وظالماً على أوكرانيا بهدف تغيير النظام القائم فيها برئاسة فلادومير زيلينسكي الموالي للغرب وإقامة نظامٍ سياسي جديدٍ موالٍ لموسكو، كما فعلتْ سابقاً مع جورجيا تحت يافطة «حماية الأمن القومي الروسي»، وتحييد أوكرانيا سياسياً، بذريعةٍ مبتكرةٍ أخرى هي أن النظام القائمَ فيها هو نظام (نازيين جدد) يتلقى تعليماته وأوامرَه من الغرب! وذلك بعيداً عن مبدأ سيادة الدول المصانة بموجب القانون الدولي وضربهِ عرض الحائط.

إن الحربَ الروسية على أكرانيا وتداعياتها على المجتمع الدولي لهوَ

مؤشرٌ على بداية انهيار منظمة هيئة الأمم المتحدة التي كانت تنظّمُ العلاقات بين دول العالم وفق القانون الدولي المتفق عليه وحسب مواثيقها، تقفُ اليومَ عاجزةً عن اتخاذ أيّ قرارٍ، كما أنها تمهّدُ الطريقَ أمام تنامي وصعود العنف والقوة الغاشمة لتفعلَ فعلَها خارج سياق المحاسبة والمحاكمة، وتُفشي حالة انعدام الاستقرار والفوضى في العلاقات الدولية.

ورُبّما تفتحُ ظاهرةُ اجتياح مدرعات الدول القوية وجيوشُها لحدود الدول الضعيفة دونَ وجودِ قرارٍ دولي كما فعلتْ تركيا في الشمال السوري، وتفعلُ روسيا اليومَ في أوكرانيا الطريقَ أمامَ بعض الدول الطامعة الأخرى للبحث في أوراقها التاريخية وسجلاتها القديمة، لتبريرِ غزوِها لبلدانٍ كانت في غابر الأزمانِ من مستعمراتِها أو محمياتها أو ما شابهَ ذلك!

إن الحروبَ التي نشهدُها اليوم، هي مخاضُ إعادة تشكّل نظامٍ عالمي جديدٍ بقطبين أو أكثر، وهي إحدى نتاجاتِ دورة رأس المال العالمي الذي يسعى للسيطرةِ على مناطق النفوذ ومصادر الطاقة والمياه والثروات الباطنية. دون الاكتراثِ لهدر الأرواح البشرية أو تلويثَ المناخ الذي يزدادُ تلوثاً وجفافاً وينذرُ بكوارثَ طبيعية تهدّدُ الحياة على أجزاءٍ كبيرة من الكرة الأرضية، ناهيكَ عن مخاطر استخدام السلاح النووي الفتّاك الذي يبقى احتمالُ استخدامه قائماً ولو كان بنسبةٍ ضئيلة، بعيداً عن مصالح شعوب العالم التي تكمنُ في السلام والتعايش والعدالة.

في هذه المرحلةِ الحرجة والعصيبة من عمر البشرية يُطلبُ من العقلاء والنخب، خاصة أصحاب القلم المدافعين عن القيم الإنسانية في كلّ دول العالم بما فيها روسيا وأمريكا والاتحاد الأوربي التنديد بهذه الحرب المدمّرة وكافة الحروبِ المندلعة في بلدان الشرق الأوسط ومنها بلدُنا سوريا المثقَلة بالآلام، هذه الحروب التي تنذرُ جميعها بكوارث للإنسانية

جمعاء. فالمطلوب الدعوة لوقفِها فوراً، والمطالبة بإجراء حوارٍ مباشرٍ بين الأطراف المتنازعة بإشرافٍ دولي، لأنّه لا بديل عن لغة الحوار التي تبقى هي اللغةُ الوحيدة المناسبةُ لحلّ قضايا الخلاف سياسياً، وتجنب اللجوء إلى العنف والحروب وإراقة الدماء، كما يُطلبُ التعاونُ والعمل المشترك لإعادة صياغة منهاج هيئة الأمم المتحدة على أسسٍ من العدل، كونُها لم تعدْ تنسجمُ مع العصر، وتغييرها بما يتوافقُ مع مبادئ الحرية والسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان، وتدميرُ أسلحة الدمار الشامل التي تشكلُ خطراً على السلم العالمي، وتخصيصِ المفاعلاتِ النووية لتوليد لطاقة والاستخدام في مجال الأعمال السلمية حصراً، والكفّ عن العبث بحياة الإنسان!.

ونحن كأسرة تحرير مجلة الحوار، مازلنا ندعو اليوم كما في الأمس الى رفع راية الحوار بدلاً عن إشهار أسلحة الحرب، فقد عملنا للحوار منذ سنوات طويلة، وسنظل مستمرين في مسيرة التأسيس لثقافة الحوار ونبذ العنف والعمل على وقف الحروب بكافة أشكالها، وبصرف النظر عن مبرراتها.

في هذا العدد نتابع نشر آراء وأبحاث تأتي جميعا في هذا السياق لخدمة مسيرة السلم والحوار، فهذا النهج الذي إلتزم به المرحوم إسماعيل عمر والعديد من أصدقائه ورفاقه، مازال هو الراجح والمعتمد لدينا. لذلك وفي الصفحات الأولى من هذا العدد نعيد نشر جانب من أفكار ومواقف الراحل إسماعيل عمر (أبو شيار).

ولنا أمل كبير بأن حلقة الداعين لثقافة الحوار ستتسع عاما بعد آخر، وعدداً بعد آخر من مجلتنا.

أسرة الَّتحْرِيرِ

ملف العدد:

الحوار الكوردي- العربي: الضرورات الاجتماعية والسياسية (٤)

١- إسماعيل عمر: داعية السلم والحوار

٢- الحوار العربي الكردي... هل يكفي ذلك؟

٣- القضية الكردية هي أيضاً... قضية عربية (٢)

٤- كن مع الأكراد ستربح ...

إسماعيل عُمـــر: داعية السلم والحوار

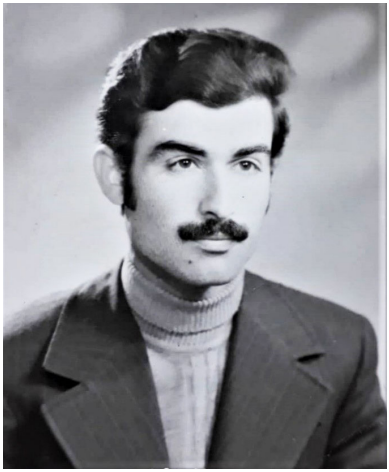

«إسماعيل عمر - سنة ١٩٧٤م»

كان سياساً متزناً برؤيةٍ موضوعية للواقع

إعداد: أسرة التحرير

«الوطنُ يجب أن يكون للجميع حتى يكون الجميعُ للوطن، والمواطن الكردي يجب أن يكون كردياً بقدر ما هو سوري، لا كما يريد له دعاة التمييز أن يكون معرباً مجرداً من خصوصيته القومية، أو كردياً محروماً من حقوقه الوطنية، ليصلَ الحرمانُ حتى إلى حق الجنسية!»

ولـدَ إسـماعيل عمـر سـنة ١٩٤٧، فـي قريـة قـره قـوي الواقعـة جنـوبَ بلـدة الدرباسية بمحافظـة الحسكة، وترعـرعَ فـي كنـف أسـرةٍ فلاحيـةٍ متوسـطة الحـال، اكتسـبَ منهـا معارفـه الأولـى ثـم درسَ الابتدائيـة فـي مدرسـة القريـة، والإعداديـة والثانويـة فـي بلـدة الدرباسية ليلتحـقَ بعدهـا بجامعـة دمشـق، حيـثُ درسَ فـي كليـة الآداب - قسـم الجغرافيـا، تخـرّجَ منهـا عـام ١٩٦٩. عمـل مدرّسـاً فـي ثانويـاتِ مدينـة القامشـلي عشـرين عامـاً، مـن عـام ١٩٧٠حتـى ١٩٩٠. قـدّمَ اسـتقالته مـن مهنـة التدريـس ليتفـرّغَ للعمـل السياسـي.

انتسـبَ إلـى صفـوف الحـزب الديمقراطـي الكـردي فـي سـوريا (البارتـي) عـام ١٩٦٣وانتخِـبَ فـي مؤتمـر الحـزب عـام ١٩٨٠ عضـواً قيادياً ثـم عضـواً فـي المكتـب السياسـي بالعـام نفسـه.

بعـد الانشـقاقِ الأولِ الـذي طـالَ البارتـي عـام ١٩٦٥، توالـتْ عمليـاتُ الإنشـطار والتشـظي المؤلمـة فـي جسـد الحركـة السياسـية الكرديـة التـي لـم تتوقـفْ حتـى يومنـا هـذا، إذْ وصـلَ عـددُ التنظيمـات الكرديـة حـداً لا يقبلُـه عقلٌ ولا منطـق، ممـا خلـقَ حالـة مـن اليـأس والتذمّـر لـدى حاضنتهـا التـي لـم تعـدْ تكتـرثُ بهـا كمـا يجـبُ أن يكـون الاكتـراث، فحصلـتْ فجـوةٌ عميقـة بيـن الحركـة السياسـية وجماهيرهـا الوطنيـة ممـا أفقدَهـا القـوة التـي بدونهـا لا يمكـن أن تحقـق أيّ انجـازٍ للصالـح العـام علـى الأرض.

تولّـى الراحـلُ مهـامَ سـكرتارية حـزب الوحـدة الديمقراطـي الكـردي فـي سـوريا (يكيتـي) منـذ المؤتمـر التأسـيس الأول فـي ربيـع سـنة ١٩٩٣، ثـم رئيسـاً لـه حتـى تاريـخ وفاتـه ٢٠١٠/١٠/١٨.

مـن خـلال قراءتـه وثقافتـهِ وسِـعة اطّلاعـه، توصـلَ الراحـلُ إلـى نتيجـةٍ مفادُهـا أن الشـعاراتِ الطنانـة ومخاطبـة أمزجـة النـاس البسـطاء بـدلَ مخاطبـة

عقولهم إنما يساهمُ إلى حدٍ بعيدٍ في صبِّ الماء بطاحونة الشوفينية التي تفنّنتْ بتنفيذِ مشاريعَ عنصرية ترمي في جوهرها إلى صهر الشعب الكردي في بوتقة القومية العربية والتنكر لوجوده وحقوقه، فتصدّى لهذه العقلية الضارة بكلّ امكانياته، ووضعَ نصب عيينه العملَ من أجل ترتيبِ البيت الكردي المنقسم ونشر ثقافة التسامح والسلام، وتأمين الحقوق القومية للشعب الكردي في إطار وحدة البلاد والعيشِ مع المكوناتِ الوطنية السورية الأخرى عرباً وسرياناً وأرمناً وغيرهم على قاعدة احترام كل الثقافات والمعتقدات، واعتبار التنوع القومي والديني غنىً لسوريا وازدهاراً لثقافتها الوطنية، معتمداً على مبدأ التحاور في حل القضايا الخلافية بعيداً عن منطق العنف وقرقعة السلاح، ودعا إلى حلّ القضية الكردية العادلة عبر الحوار، وأجادَ الربط بين القضية القومية الكردية التي تستدعي حلاً عادلاً والقضية الوطنية السورية التي تشتركُ كافة المكونات في الالتزام بها.

جدير بالذكر أنّ الراحلَ كان من أبرز المشجّعين والداعمين لصدور مجلتنا المستقلّة هذه (الحوار) وذلك لتنشيط الحوار العربي- الكردي، ولا تزالُ تلقى الرعاية من جانب رفاقه، سواء من ناحية طباعتها أو توزيعِها في ظلِّ الظروف الأمنية والسياسية بالغة الصعوبة التي كانتْ تمرّ بها البلادُ والعقبات التي كانت تعترضُ التواصل مع العمق العربي.

وإيماناً منهُ بأنّ القضيةَ الكردية في سوريا هي قضيةٌ وطنية تهمّ كلَّ السوريين كرداً، عرباً وسرياناً، فقد بادرَ مع العديد من المناضلين الكرد في حزبه والأحزاب الوطنية الكردية الأخرى إلى فتح بابِ الحوار مع القوى والشخصيات الوطنية السورية العربية والآشورية تمهيدا لإعلان دمشق عام ٢٠٠٥، بهدف إرساء أسس الثقة بين الجميع والنضالِ المشترك

للتغيير الديمقراطي السلمي وتداولها في البلاد، وإنهاءِ حالةِ الفساد وتغييبِ السياسة من المجتمع ورفع حالة الطوارئ المكبّلة للحريات الديمقراطية وإيجاد حلٍّ عادل للقضية الكردية في سوريا.

وإنصافاً لهذه القامة الوطنية المخلصة للكرد ولكل السوريين، نوردُ في هذا العددِ بعضاً من آرائه وأفكاره المنشورة التي تحتفظُ حتى اليوم بصوابيتها وتصلحُ كخطوطٍ عريضة لبرنامج عمل يضمّ كل السوريين، كي يطلعَ عليها قرّاءُ العربية.

ففي مداخلةٍ له بندوةٍ سياسيةٍ جمعتْه مع بعض القوى الوطنية السورية والشخصيات المستقلة في شهر أيار ٢٠٠٥ تحدث الأستاذ اسماعيل عمر قائلاً:

أيها الحضورُ الكريم:

أشكرُ في البداية منظّمي هذه الندوة، التي أتاحتْ لنا جميعاً تبادلَ الآراء ومناقشة أفضل السبل لخدمة بلدنا سوريا، وتحصين جبهتها الداخلية، والنضال معاً للمباشرة بإجراء عملية إصلاحٍ حقيقيةٍ تضعُها على طريق التطور الديمقراطي، وتفتحُ أمامَها الطريق لمسايرة الركب الحضاري العالمي.

وحتى نتمكنَ من تشخيص الواقع، وبالتالي البناءَ عليه، لا بدَّ من الإحاطةِ بالتطورات المتلاحقة التي شهدتْها منطقةُ الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة، خاصةً بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ التي كانتْ منطلقاً لحربٍ كونية جديدة أخذتْ عنوانَها من الحرب على الإرهاب، التي تغيَّرَ معها مفهومُ الأمن القومي الأمريكي ليطالَ مناطقَ واسعةً من العالم، وتغيرتْ معه الإستراتيجيةُ الأمريكية، لتنتقلَ من دعم الأنظمة الدكتاتورية

التي كانت ترى فيها ضمانةً لحماية مصالحها، إلى التخلي عنها، بصفتها حاضنةً طبيعيةً للإرهاب الذي يتغذى من غياب الحريات السياسية. كما صعّدتْ دعوتَها إلى نشر الديمقراطية كوسيلةٍ لمكافحة العمليات الإرهابية التي تهددُ أمنَها ومصالحَها، ومن هنا جاءتْ الحربُ على العراق عام ٢٠٠٣، والتي وضعتْ منطقة الشرق الأوسط أمام تحولاتٍ كبيرة، غيرتْ خارطتها السياسية نتيجة تدخلِ العامل الخارجي كحافزٍ وضاغطٍ من أجل المباشرة في إحداث إصلاحاتٍ سياسية تنشطُ المطالباتِ الداخلية من أجل تنفيذها. وعلى وقع تلك الحرب وانعكاساتها جرتْ لأول مرة انتخاباتٌ محلية في السعودية، والتزامٌ تركي بشروط الانضمام للاتحاد الأوربي واستعدادٌ لبناني لإجراء انتخاباتٍ برلمانيةٍ بعد انسحاب الجيش السوري وإقرار مبدأ المنافسة على رئاسة الجمهورية في مصر.

أما في سوريا، وفي ظلّ تلك الأجواءِ الإقليمية المحيطة والضغوطات الدولية المتزايدة، فإنّ السلطة لا تزالُ تصرُّ على إبقاءِ هيمنة حزب البعث على مؤسساتِ الدولة ومراكز السلطة، وتسعى للمماطلة والتكيّف مع التطورات الجديدة والضغوطات الخارجية، بدلاً من المباشرة بإجراء إصلاحاتٍ جدية يتطلبُها الوضعُ الداخلي المتميز بغياب الحريات الأساسية وتردّي الأوضاعِ الاقتصادية واتساع دائرة الفقر وانتشار الفساد في مختلف دوائر الدولة ومؤسسات القطاع العام، واستمرار العمل بالأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية وغياب استقلالية القضاء.

ويُعتبر حزبُ البعث، بحكم احتكاره لقيادة الدولة والمجتمع بموجب المادة الثامنة من الدستور، هو المسؤولُ عن تلك الأوضاع، ولذلك فإنّ أية عملية إصلاحٍ حقيقيةٍ يجبُ أن تبدأ من تغيير نهج ودور هذا الحزب، الذي يستعدُّ الآن لعقد مؤتمره القطري، والذي لا يبدو في الأفق أيةُ بوادرَ

للتخلي عن تلك الهيمنة، وعن مفهوم الحزب القائد والجبهة الواحدة التي تم توسيعُها مؤخراً بانضمام الحزب القومي الاجتماعي، وذلك في دلالةٍ واضحةٍ على استمرار عملية تعطيلِ الحياة السياسية تحت مسمياتٍ شكليةٍ، قد يكونُ إصدارُ قانون أحزاب يقوم على إنكار التعدد القومي أحدَ أشكالها، في الوقت الذي يفترضُ فيه أن يراعي القانونُ المنشود مصالحَ جميع مكونات الشعب السوري من خلال الاعتراف الدستوري بتلك المكونات ومنها الشعب الكردي الذي يشكلُ القومية الثانية في البلاد، كما يفترضُ ترجمةَ تصريحاتِ السيد الرئيس بشار الأسد بأن القومية الكردية هي جزءٌ رئيسيٌ من النسيج الوطني السوري ومن التاريخ السوري، بشكل عملي.

كما أنّ حزبَ البعث، وبحكم كونه حزبٌ قوميٌ يمارسُ التمييزَ والاستعلاءَ القومي، ألغى التعددية القومية، وطالبَ القوميات الأخرى التي تعيشُ في إطارِ الحدود التي رسمَها للوطن العربي بالصهر أو الطرد، بموجب المادة الحادية عشر من المبادئ الأساسية لدستوره.

وتطبيقاً لهذا النهج فإنه بالنسبة لنا، كشعبٍ كردي وكحركةٍ كرديةٍ، أساءَ للعلاقات التاريخية العربية الكردية، من خلال ممارسة التمييز القومي وأشكاله المتمثلة بإنكار الوجود الكردي والتنكر للحقوق القومية وتجاهل شرعية الحركة الكردية، وتطبيق المشاريع العنصرية والقوانين الاستثنائية في المناطق الكردية.

وعلى هذا الأساسِ فإنَّ أية عمليةِ إصلاحٍ تتجاهلُ أيضاً إيجادَ حلٍّ ديمقراطي للقضية الكردية في سوريا، سيكون مشكوكاً في جديتها، حيث لا يمكنُ لسوريا أن تتقدمَ على حساب تعطيل دور أحد مكوناتها القومية الأساسية وطمس وجوده.

ومن جهةٍ أخرى ،فإنّ سياسةَ التمييز القومي المنتهجة بحق الشعب الكردي في سوريا والغيابُ الطويل للبديل الوطني الديمقراطي لحلِّ قضيته القومية وعرقلة تطور المجتمع الكردي اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وحرمانه من حقوقه القومية الديمقراطية التي يطالبُ بها في إطار وحدة البلاد، تنعكسُ سلباً على المجتمع الكردي الذي يشهدُ تنامياً لحالاتِ الإحتقان والاغترابِ والانعزالِ، ويؤثرُ على أدائه الوطني ويضعفُ دورَ الحركة الكردية في حشد الطاقات الوطنية الكردية وتسخيرها لخدمة تقدم البلاد وتطورها، كما أنّ تلك السياسة تغذي نزعاتِ التشكيك بالولاء الوطني الكردي واتهامات الاستقواء بالخارج، كما تخلقُ عدمَ الثقة بين أبناء الوطن الواحد، ولذلك، وبين الحالتين، حالةَ الاحتقان هنا وحالة التشكيك هناك، انفجرتْ أحداثُ القامشلي الدامية في آذار ٢٠٠٤ و تركتْ جروحاً عميقة لا تزالُ بحاجةٍ إلى المعالجة، وهددتْ بعواقبَ سلبيةٍ في المستقبل.

وهذا يقتضي من كافة القوى الوطنية داخل السلطة وخارجها البحثَ عن حلٍّ عادلٍ ينصفُ الشعبَ الكردي ويحصّنُ الجبهة الداخلية ويعزّزُ مهامَ التصدي لكل المخاطر والضغوطات الخارجية ويكرسُ مفهومَ الشراكة الوطنية بين جميع مكونات الشعب السوري، بدلاً من الإقصاء، لتصبح سوريا وطناً دائماً للجميع، بقدر ما يكون الجميع للوطن.

فالشعبُ الكردي في سوريا لا يشكلُ حالةً طارئة أو أقلية وافدةً، فهو يعيشُ أباً عن جدٍّ في مناطق الجزيرة، كذلك كوباني وعفرين بعد أن رُسمتْ خارطة سوريا في إطار تقسيماتِ سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٦ ... وهذا يعني أنَّ مواطني سوريا الحاليين من عربٍ وكردٍ وأقلياتٍ قومية، جمعتْهم ووحّدتْهم تلك التقسيماتُ دون إرادتهم... لكنهم جميعاً ارتضوا هذا الواقع وناضلوا معاً لتحرير هذا البلد،

وكانتْ مساهماتُ وتضحياتُ الأكراد مشهودةً، خلّدتْها معاركُ جبل الزاوية والغوطة وبياندور وعامودا، وسقطَ العديدُ من الشهداء الأكراد لتمتزج دماؤهم مع دماء أشقائهم العرب وغيرهم حتى تحققَ الجلاءُ وأصبحتْ سوريا، بموجب العقد الوطني والنضال المشترك، وطناً مشتركاً للجميع كأمرٍ واقع، أي أنَّ أحداً من مكوناتِ الشعب السوري لم يلحقِ الآخرَ بالقوة ولم يجبرْه على التعايش المشترك، وارتضى الجميعُ بإرادتهم الحرة أن يكونوا شركاءً في بناء سوريا وتحديدِ معالم مستقبلها، مثلما كانوا شركاءً في النضال من أجل تحريرها، وذلك على أسسٍ من المساواة والاحترام المتبادل لخصوصية وثقافة كل طرفٍ ولانتمائه وحقوقه القومية .

وفي حين اختارَ الجانبُ الكردي التعايشَ المشتركَ مع شقيقه العربي، طوعاً واختياراً، وسعى لتعزيز وحدة هذا الوطن، مقابلَ الحفاظ على مقوماته القومية، فانَّ تياراتِ الفكر القومي العربي، التي تشكلتْ بعد الاستقلال، تصرفتْ بمنطقٍ متشنج تجاه الأقليات القومية بشكلٍ عام والأكراد بشكلٍ خاص، خاصةً في أواخر الخمسينات بعد إعلان الوحدة مع مصر حيثُ تحولَ الاسمُ الرسمي لسوريا من الجمهورية السورية، وذلك تعبيراً في ذلك الوقت، عن كونها وطناً لكلّ السوريين، إلى الجمهورية العربية المتحدة، ثم تحولتْ بعد الانفصال، إلى الجمهورية العربية السورية، وذلك في إنكارٍ واضحٍ لوجود القومياتِ الأخرى وإنذارٍ لها بأنّ سوريا هي بلدُ العرب فقط، أي بلدُ القومية الواحدة واللغة الواحدة والثقافة الواحدة، ومنذ ذلك التاريخ خضعتْ سوريا، وفي إطار محاولةِ تزويرِ الحقائقِ التاريخية والطبيعية، لسياسةِ تعريبٍ شملتْ التجمعاتِ البشريةَ والمعالمَ الطبيعيةَ، وامتدتْ حتى إلى تسمية الولادات الحديثة في المناطق الكردية التي خضعتْ أيضاً لجملةٍ من المشاريع العنصرية مثل الإحصاء الرجعي

الذي عبّرَ عن حالةٍ شاذةٍ في تعامل الدول مع مواطنيها، حيثُ تمَّ تجريدُ عشراتِ الألوف من المواطنين الأكراد من جنسيتهم السورية، والحزام العربي الذي عبّرَ عن تشكيكٍ عميقٍ بالولاء الوطني الكردي، واستهدفَ المشروعانُ تغييرَ الطابع الديمغرافي لمنطقة الجزيرة ذات الأغلبية الكردية، وفرْضَ اللونِ الواحد والتنكر لأهمية التنوع العرقي الذي حظيتْ به سوريا، والذي يُعَدُّ نعمةً، إذا تمَّ التعاملُ معه بمنطقٍ حضاري عصريٍّ وديمقراطي ينطلقُ من مصلحةِ الوطن الذي يزيدُ تعددُ الثقافاتِ القومية من جمالِ لوحته الوطنية، في حين رأتْ فيه الأوساط الشوفينية، ولا تزال، نقمةً لأنها تتعاملُ مع القوميات الأخرى وحقوقها بمنطق الدونية والشكّ، مثلما كانت تتعاملُ منذ بداية الستينات مع القضية الكردية في كردستان العراق التي كان غلاة القوميين العرب يسمونها بالجيب العميل، وكانت الحركةُ التحررية الكرديةُ فيها تصنَّفُ، في القاموس الشوفيني، في إطار الحركاتِ الانفصالية في الوطن العربي مع غيرِها من الحركات، مثل الحركة الشعبية لجنوب السودان وحركات أخرى. لكن ثبتَ مع الزمن أن إرادة الولاء للوطن الواحد انتصرت في النهاية، هنا وهناك، فقد شاهد هؤلاء الغلاة على شاشات التلفزيون، قبل حوالي شهرين، رئيساً عراقياً من أصل كردي هو الأستاذ جلال الطالباني يقسمُ اليمينَ الدستوري باللغتين العربية والكردية، ليصبحَ رئيساً لكل العراقيين، ورمزاً لوحدة العراق ... كما رفضَ أمثالُهم من العنصريين في الجزائر الاعتراف بالأمازيغ، البالغ تعدادهم ١٠ ملايين، كشعبٍ له خصوصيته وحقوقُه، لكنهم الآن يسمعون في الإذاعة الجزائرية الرسمية برامجَ وأغانٍ أمازيغية .... وينطبقُ نفسُ الشيء على جنوب السودان حيث تم إقرار الكونفيدرالية التي أنهتْ عقودا طويلة من الحرب الأهلية.

.... وفي كل الحالات السابقة يُفترضُ أن يتساءلَ الجميعُ، ماذا خسرت القومية العربية في العراق، بإقرار الفيدرالية، سوى تحرير القيود التي كانت مفروضةً على الأكراد العراقيين الذين انطلقوا الآن من أربيل والسليمانية إلى بغداد للمساهمة في بناء العراق الجديد، واستعادة وتعزيز وحدته؟! وماذا خسرتْ أيضاً في الجزائر، بعد أن استقرت الأوضاع وهدأتِ الاضطراباتُ في منطقة القبائل، أو في جنوب السودان بعد أن وضعت الحربُ أوزارها وتفرغ الجميع للعمل والتنسيق من أجل إيجاد الحلول لقضاياهم المشتركة والتصدي معاً لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

«كان إسماعيل عمر دائم الحضور إلى جانب أصدقائه ومحبيه»

وبالمقياس نفسه، ماذا ستخسرُ سوريا من إيجاد حلٍ ديمقراطي عادل للقضية الكردية فيها، فهذه القضية هي بالأساس قضية وطنية عامة تهمُّ كلّ السوريين بقدر أهمية مختلفِ قضايا الوطن بالنسبة للمواطنين الأكراد الذين يعانون من معاناةٍ مضاعفةٍ، فهم محرومون، مرةً بوصفهم مواطنين

يعانـون مـا يعانـي الآخـرون مـن أبنـاء الشـعب السـوري، وهـم مضطهَـدون ومحرومـون مـرةً أخـرى بوصفهم أكراداً تشـكُّ الشـوفينية في ولائهـم الوطني!... وفـي الحالتيـن فـإنّ رفـعَ الاضطهـاد القومـي عـن كاهـل الأكـراد يجـبُ أن يكـونَ أحـدَ واجبـاتِ العـرب وغيرهـم مـن مكونـات الشـعب السـوري لكـي يسـتعيدَ الشـعب الكـرديُّ دوره الوطنـيَّ التاريخـيَّ، كمـا أن قضيـة الديمقراطيـة والإصـلاح هـي أصـلاً شـأنٌ كـردي تدخـلُ فـي إطـار الحـراك السياسـي للحركـة الكرديـة التـي تطالـبُ بعقـد مؤتمـرٍ وطنـي سـوريٍ عـامٍ تحضـرُهُ جميـعُ القـوى السياسـية الوطنيـة الفاعلـة فـي البـلاد بمـا فيهـا حـزب البعـث، مهمتُـه صياغـة برنامـج إصـلاحٍ وطنـي، يلبّـي مطالـبَ الداخـل السـوري، بـدلاً مـن الاسـتجابة للضغوطـات الخارجيـة.

OOOOOOOO

في منتدى الأتاسي

وفـي نـدوةٍ أقيمـتْ بمنتـدى الدكتـور جمـال الأتاسـي، ألقـى الأسـتاذ اسـماعيل عمـر كلمـة سـلطَ فيهـا الضـوءَ علـى معانـاة الكـرد السـوريين الذيـن يعانـون مـن سياسـاتِ التمييـز العنصـريِّ الممنهـجِ علـى أيـدي السـلطات السـورية التـي تنظـرُ إلـى الكـردي نظـرة التشـكيك بوطنيتـه وولائـه لوطنـهِ سـوريا التـي لـم يبخـلْ فـي الدفـاع عـن حياضِهـا واسـتقلالها وتطورهـا، حيـث قـال:

بدايـةً، أشـكرُ الأخـوة فـي منتـدى الاتاسـي علـى هـذه المبـادرة الطيبـة، التـي نعتبرُهـا بدايـةَ تعامـلٍ جديـدٍ مـع الحركـة الوطنيـة الكرديـة فـي البـلاد، التـي ظلـتْ تبحـثُ دائمـاً عـن منابـرَ تطـلُّ منهـا علـى السـاحة الوطنيـة السـورية، لتُلقـي بعـضَ الضـوء علـى معانـاة شـعبنا الكـردي فـي سـوريا مـن سياسـة

التمييز القومي وأوجُه الاضطهاد والحرمان الممارَسة بحقه، مما تسببَ إلى حدٍ كبير في عرقلة تطوره الاجتماعي والثقافي والسياسي، وخلقَ بين أوساطه حالةً من الاغتراب، وأحدثَ خللاً في نفسية الإنسان الكردي نتيجةَ عدم التوازن بين واجباته التي تصدى لها دائماً، وحقوقه التي حُرم منها على الدوام، إضافةً إلى إخضاعه لجملةٍ من المشاريع العنصرية والقوانين الاستثنائية التي لا يستطيعُ مشرّعو سياسة التمييز هذه الدفاعَ عنها، والتي تعبّرُ عن حالةٍ شاذة في تعامل الدول مع مواطنيها.

فالإحصاءُ الجائر الذي تجاوز عددُ ضحاياه اليوم ربع مليون إنسانٍ بين مجردين من الجنسية ومكتومي القيد - والعدد يزداد عاماً بعد عام نتيجة التكاثر الطبيعي - لا يستطيعُ أحدٌ حتى في السلطة الدفاعَ عن شرعيتهِ، لكن، ولأنَّ الموضوعَ يتعلقُ بالأكراد، فإن هناك تجاهلٌ لهذه المأساة الإنسانية التي تجبرُ آلاف الناس على الهجرة إلى المدن الداخلية وإلى دول أوربا التي تمنحُهم جنسياتِها بعد مرور المدة القانونية لإقامتهم فيها، في حين يُحرَمون فيه ويجرّدون من جنسية وطنهم، مما يشكلُ مفارقةً عجيبة تدعو للتساؤل عن ماهية الجهة المستفيدةِ من استمرار هذا الاستهتار بالإنسان المواطن وحقوقه!.

والحزامُ العربيُّ الذي استغلَّ مشرّعوهُ مسألة غمرِ مياه بحيرة سد الفرات لبعض الأراضي الزراعية في محافظتي حلب والرقة لنقل الفلاحين العرب إلى المناطق الحدودية في محافظة الحسكة وتنفيعهم بالأراضي الزراعية التي كان يستثمرُها الفلاحون الأكراد أباً عن جدٍّ، خلقَ حالة من الاستياء حتى بين المواطنين العرب أنفسِهم في هذه المحافظة، عدا عن كونه يأتي في إطار مشروعٍ سياسي عنصري، أساءَ للعلاقاتِ التاريخية العربية الكردية، ووضعَ الحواجزَ بين أبناء الوطن الواحد، كما أساءَ

للاقتصاد السوري. فمنطقة الحزام لم تتحولْ إلى مزارعَ نموذجيةٍ مثلما ادّعى أصحابُ (الحزام الأخضر) الذي سُمي به المشروع في بداية الأمر.

وإلى جانبِ تلك المشاريع، فإنَّ سياسةَ التمييزِ تسيرُ في المناطق الكردية على قدمٍ وساقٍ في كافة المجالات، في المدرسة والوظيفة والعمل وغير ذلك، تحت مسمياتٍ أبرزُ عناوينها مقولة (خطر على أمن الدولة)، وهي بذلك تضيفُ إلى الحرمان المزمن من الحقوق القومية، معاناةً إضافية يوميةً.

وبالمقابل، فإنَّ معظمَ أطرافِ المعارضة الديمقراطية السلمية خارجَ السلطة، لم تستطعْ حتى الآن، رغمَ معاناتها، أن تتفهمَ الجوهرَ الوطني الديمقراطي لطبيعة القضية الكردية، وظلّت العديدُ من أطرافها تتعاملُ معها حتى الآن بمزيد من التشكيك في طبيعتها وأهدافها... وبين هذا وذاك، بين سياسة الاضطهاد التي تمارسُها السلطة، وسياسة التجاهل التي تمارسُها أطرافٌ أساسية من المعارضة، فإننا لا نخفي عليكم بأن المجتمع الكردي يشهد تنامياً لحالاتِ الاغترابِ واليأس والانعزال، خاصةً في ظل الغياب الطويل للبديل الوطني الديمقراطي لحلّ قضيته القومية والديمقراطية، مما يُضعفُ دورَ الحركة الكردية في قيادة هذا المجتمع وتحصينه، ويهددُ بنتائجَ سلبيةٍ في المستقبل.

فالقضيةُ الكردية هي قضية وطنيةٌ بدون أي شكٍّ، لأنها تهمُّ أكثرَ من مليوني إنسانٍ كردي في سوريا، ولذلك فهي تعني الجميعَ، وأنَّ المهمة الأساسية لجميع الأطراف الكردية هي إدراجُها بين القضايا الوطنية العامة في البلاد التي تتطلبُ حلولاً عادلةً وعاجلةً، ولن يُكتبَ النجاحُ لهذه المهمة ما لم تنجحْ هذه الحركة في تعريفِ الشعب السوري بعدالتها من خلال التواصُلِ مع مختلف الأحزاب والقوى الوطنية والفعاليات الاجتماعية

والثقافيـة، والانخـراطِ فـي النضـال العـام الديمقراطـي للعمـل معـاً مـن أجـل إيجـادِ الحلـول للقضايـا الوطنيـة الأخـرى. وهـذا يسـتدعي ارتقـاءَ مختلـف القـوى والنخـب العربيـة والكرديـة إلـى مسـتوى المسـؤولية المطلوبـة، لوضـع أسـسٍ متينـةٍ لشـراكةٍ وطنيـةٍ، فسـوريا كدولـةٍ، تشـكلتْ بحدودهـا الحاليـة وفقَ تقسـيماتِ سـايكس – بيكـو، وهـذا يعنـي أن مواطنيهـا الحاليـين مـن عـربٍ وأكـرادٍ وأقلياتٍ أخـرى، وحّدتْهـم تلـك التقسـيماتُ دونَ إرادتهـم، وربطتْهـم أواصـرُ التاريـخ والإرادة المشـتركة، وبالتالـي، لـم يتـمْ فـي حينـه أنْ أُلحِـقَ أحـدٌ مـن مكوّنـاتِ هـذا الوطـن المكـوّنَ الآخـر بالقـوة، وبذلـك، أصبحـتْ سـوريا وطـنَ الجميـع كأمـرٍ واقـعٍ ... وفـي حيـن سـعى الجانـبُ الكـردي لتعزيـز وحـدة هـذا الوطـن مقابـلَ الحفـاظِ علـى مقوماتـه والتمتـعِ بحقوقـه القوميـة، كان مـن المفـروضِ أن يسـتوعبَ الطـرفُ الآخـرُ أيضـاً هـذه الحقيقـة ويحتـرمَ هـذا الحـقَّ الطبيعـي، لكـن قـواهُ السياسـيةُ التـي تشـكلتْ بعـد الاسـتقلال تصرفتْ بمنطـقِ الأكثريـة ومارسـتْ عمليـة الشـطب علـى كل مـا هـو غيـرُ عربـيٍّ بهـدف صهـر القوميـاتِ الأخـرى، وفـي المقدمـة منهـم الأكـراد ... ومـع الزمـن، تنامـتْ النزعـةُ الإقصائيـة التـي مارسـتْها الأنظمـة المتعاقبـة علـى دسـتِ الحكـم ممـا ألحـقَ أفـدح الأضـرار بمفهـوم المواطنـة وبقضيـة الوطـن، الـذي كان ولايـزالُ، يفتـرضُ أن يكـون الوطـنُ للجميـع حتـى يكـون الجميـعُ للوطـن، يدينـون لـه بالـولاء ويدافعـون عنـه بـكلِّ الإمكانـاتِ، ويحافظـون فـي ظلِّـه علـى خصوصيتهـم القوميـة ويصونـون وحدتَـه وسـيادتَه، ويتمتعـون فيـه بحقوقهـم المشـروعة، التـي لا تتعـارضُ مطلقـاً مـع ولائهـم الوطنـي، بـل بالعكـس، فهنـاك علاقـة جدليـة وثيقـة بيـن درجـة هـذا الـولاء بالنسـبة للمواطـن الكـردي، ومـدى تمتعـهِ بحقوقـه وخصوصيتـه القوميـة، فهـو بهـذه الحالـة يكـون سـورياً بقـدر مـا هـو كـردي، لا كمـا يريـدُ لـه دعـاة التمييـز أن يكـون معرّبـاً مجـرّداً مـن خصوصيتـه القوميـة، او كرديـاً محرومـاً مـن حقوقـه الوطنيـة، ليصـلَ الحرمـانُ حتـى إلـى حـق الجنسـية ... أي أنّ

تمسكهُ بانتمائه القومي والوطني السوري معاً لا يعيبه ككردي، ولا ينتقصُ شيئاً من كرامة الأشقاء العرب وحريتهم، ولا يسيءُ إلى مصلحة الوطن، بل على العكس تماماً، فإنه يضيفُ لوناً جديداً إلى ألوان الطيف الوطني ويزيدُ من جمال اللوحة الوطنية، ويغني الثقافة الوطنية، فالوجهُ الجميلُ لا يبرزُ جمالُه إلا بوجود كافة أجزائه.

وهذا يعني، أنّ كلَّ السوريين بكافة انتماءاتِهم القومية والدينية والمذهبية يجبُ أن يكونوا متساويين في الحقوق والواجباتِ أمام القانون، لا أن يكون الأكرادُ متساوين فقط أمام القوانين الاستثنائية! وأنْ يتمَ تعريبُ أسماء المدن والبلدات والقرى والمعالم الطبيعية، مما ينسفُ أحدَ أهمِّ مرتكزات الوحدة الوطنية، ويشيعُ أجواءَ عدم الثقة بين أبناء الوطن الواحد، ويخلّ بالعقد الوطني الذي كُتب بتضحيات وجهود الجميع، في حين أثبتتْ فيه التجربة التاريخية للشعوب أن مشاريعَ الصهر القومي لن يُكتبَ لها النجاح، وأنَّ محاولاتِ تغيير المعالم القومية لأي شعبٍ سيكون مصيرها الفشل، فالاسم الأصلي لقرية مواطنٍ كردي سوري، لن يُمحى من الذاكرة مهما بلغتْ قوة المعرّبين وجبروتُهم، لأنه غُرس في وجدانه، وتحوّل إلى جزءٍ هامٍ من حياته وارتبط بملاعب طفولته، وتحول الحفاظُ على هذا الاسم إلى واجبٍ قومي ووطني معاً.

لكنّ ما يُؤسف له، إنَّ السلطةَ لم تستطعْ حتى الآن استخلاصَ دروسٍ مفيدةٍ من تجربة عشرات السنين من تاريخ الاضطهاد والتميز القومي بحق الشعب الكردي في سوريا، ورغم أنَّ أحداثَ آذارِ الأليمةِ والدامية أحدثتْ ارتباكاً واضحاً في السياسة المنتهجة بحقه والتي درجتْ على إنكار الوجود التاريخي الكردي الذي لم يعدْ قابلاً للتجاهل، خاصةً بعد أن رسمتْ تلك الأحداثُ خارطة عملية لهذا الوجود و تحول الاعترافُ به

إلى أمرٍ واقع قام بإقراره أكثرُ من مسؤول، وتوّج بإعلان السيد الرئيس بشار الأسد في مقابلته مع قناة الجزيرة الفضائية بأن القومية الكردية هي جزءٌ من النسيج الوطني ومن تاريخ سوريا وبراءة تلك الأحداث من العلاقة بالخارج، وما خلقته تلك المقابلةُ من ارتياحٍ في الوسط الكردي المتخوّف أصلاً من الاضطهاد، وما ساهمتْ به تصريحاتُه من تخفيفٍ لوتيرة الكراهية والحقد تجاه الأكراد لدى العديد من الأوساط السورية التي أوهمتْها بعضُ الجهات، بأن تلك الأحداث تعبّرُ عن نزوعٍ كردي نحو الانفصال واستقواءٍ بالخارج، وذلك بهدف إثارة حساسيتها الوطنية واستعدائها على الأكراد، فإنَّ الوقائعَ على الأرضِ لا تزالُ تثيرُ المزيد من القلق. فبعد أن كان الجميعُ بانتظار إقدام السلطة على المباشرة بإجراء تحقيقٍ محايدٍ وتقييمٍ معمقٍ لمعرفة الأسبابِ والدوافعِ، ومحاسبةِ المسؤولين عنها، والبحثِ عن الضمانات الكفيلة بعدم تكرارها مستقبلاً، واعتماد سياسة حكيمة في المعالجة، فقد تصرفتْ معها من منظورٍ أمني بحتٍ، وكأنَّها مجردُ قضيةُ خارجين على القانون! حيث لجأتْ لاعتقال الآلاف من المواطنين الكرد بشكلٍ عشوائيٍّ، وجرتِ العديدُ من حالات الاعتقال على الهوية القومية، وخاصة في ضواحي دمشق حيث يعيش الآلاف من المهاجرين الكرد التائهين هناك بحثاً عن لقمة العيش ضمن حزامها الفقير، ولا يزال حوالي ٢٠٠ مواطن كردي رهن الاعتقال حتى الآن، وذلك في دلالةٍ واضحة بأن السلطة تجهدُ لتجريم شعبنا الكردي وإرهاب أبنائه ومصادرة حقهم في مقاومة سياسة التمييز، وتهدفُ من وراء إحالة العشرات منهم لمحاكم أمن الدولة والجنايات العسكرية إلى معاقبة الشعب الكردي.. كما أنَّ أجواءَ الاحتقانِ التي فجَّرتْ أصلاً تلك الأحداث لا تزالُ سائدةً، فقد رسمت السياسة الشوفينية المنتهجة منذ عشرات السنين صورة مشوهة لحقيقة الوضع الكردي، واستغلت من أجل ذلك غيابَ دورِ الحركة

الكردية في تصحيح تلك الصورة، لتقوم بإثارة الرأي العام السوري وإلهائه بالخطر الكردي المزعوم و تغذية حالة الاحتقان المتفاقمة ضد الكرد، بهدف تحويل أنظار الرأي العام السوري عن حقيقة الأوضاع المتأزمة في البلاد، والتهرُّبِ من استحقاقات الإصلاح المطلوبة، وهذا يعيدُ للأذهان ما أقدمتْ عليه حكومة الانفصال في أوائل الستينات من إقرار مشروع الإحصاء وتأليب العرب ضد الأكراد، لتغطي بذلك على جريمة الانفصال في ذلك الوقت.

إن الحكمة والمسؤولية الوطنية تقتضيان من كافة القوى الوطنية داخل السلطة وخارجها، والفعاليات الثقافية والاجتماعية في البلاد، البحثَ عن حلٍّ ديمقراطي عادل للقضية الكردية، وذلك من خلال تمكين الشعب الكردي، باعتباره جزءاً أساسياً من النسيج الوطني السوري، من ممارسة حقوقه القومية، من سياسية وثقافية واجتماعية. وإلغاء المشاريع الاستثنائية المطبقة بحقه، لكي يستطيعَ مواصلة دوره الوطني والتصدي لكل التحديات الداخلية والخارجية.

وشكراً.

OOOOOOOO

حوار صحفي حول ماهية إعلان دمشق

وفي معرض إجابته على الأسئلة الثلاثة التالية:

عن ماهية إعلان دمشق من موقع (عامودا.كوم) بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١

١- ماهي المطالبُ الكردية القومية التي لا يمكن المساومة عليها؟

٢- هل يلبي «إعلان دمشق» المطالب القومية للشعب الكردي في سوريا؟ إذا لا، ماذا ينقص؟ أي (ما هي نواقصُها)؟

٣- ما هو المطلوب لكي تناقش الحركة الكردية في سوريا بموقف موحد مع المعارضة السورية حول المطالب الكردية القومية؟

أجاب الأستاذ اسماعيل عمر:

بدايةً، كنت أتمنى أن لا تكون الأسئلة التي وجهتَها بشأن (إعلان دمشق) مقتصرةً على البند المتعلق بالقضية الكردية فقط، رغم أهمية وخصوصية هذه القضية بالنسبة لنا كحركةٍ كرديةٍ، كوننا معنيين ببقية البنود أيضاً، لأن معظمَها تتعلقُ بالنضال الديمقراطي، وما يعنيه من إقرارٍ بالتعددية السياسية والقومية، وحرية الرأي والتعبير وضرورة التداول السلمي للسلطة عبر انتخاباتٍ حرةٍ ونزيهةٍ ينبثقُ عنها برلمانٌ حقيقي وحكومةٌ شرعيةٌ، وصياغة دستورٍ جديدٍ يقرُّ بالوجود القومي الكردي.

وقبل أن أجيبَ عن تلك الأسئلة، أودُّ التأكيدَ على أنَّ أي شعارٍ أو هدفٍ لا يستمدُّ شرعيته فقط من عدالته، بل كذلك من إمكانات تطبيقه، وأنَّ الأعمالَ أو البرامجَ المشتركة، سواء المتداولة منها فيما بين أطراف الحركة الكردية، أو بين هذه الحركة وبقية القوى الوطنية والديمقراطية السورية، تُصاغ عادةً على أساسِ توافقاتِ وتقاطعاتِ الأطراف المشاركة التي تلتقي عند الحد الأدنى المشترك.

وعلى هذا الأساس فإنَّ إخلاصَنا للقضية الكردية لا يُقاسُ فقط بمقدار وحجم التضحية من أجلها، بل كذلك بقدرتنا على إقناع الآخرين بها، لرفع سقف ذلك الحد الأدنى المشترك، وتوسيع دائرة الأصدقاء والأنصار حولها، ومن هنا فإنَّ إعلانَ دمشق، بما جمعَهُ من طيفٍ واسعٍ، وبالصيغة التي

أقرها للقضية الكردية، نقلَ هذه القضية إلى موقع متقدمٍ، حيثُ دخلتْ معه إلى كل محفلٍ وتجمّع وطنيٍّ سوريٍّ في مختلف أنحاء البلاد وخارجها، أي أنها أصبحت قضية وطنية سورية، وأصبح النضالُ من أجل حلِّها على أساسٍ ديمقراطي عادل، في إطار مجموع الأفكار والتوجهات التي تضمنها الإعلان، مطلباً وطنياً سورياً عاماً، ويعتبرُ ذلك مكسباً لا يستهانُ به لشعبنا الكردي في سوريا.

من جانبٍ آخرَ، فإنَّ التحالفَ الديمقراطي الكردي والجبهة الديمقراطية الكردية، اللذين شاركا في صياغة الإعلان، تمكّنا من تثبيت حقوق شعبنا الكردي بالشكل الذي تراهُ الحركة الكردية عموماً، فصيغة (الحل الديمقراطي العادل للقضية الكردية) تُجمعُ عليها كلُّ الأحزاب الكردية في سوريا، داخلَ الجبهة والتحالف الكرديين وخارجِهما، حيثَ وافقَ الجميعُ، باستثناء الحزب الديمقراطي الكردي السوري، بتاريخ ٢٠٠٥/١/١٧على بيان تأسيس (لجنة التنسيق الوطني للدفاع عن الحريات الأساسية وحقوق الإنسان)، وأعتبرَ ذلك البيان، في حينه، برنامجاً للعمل المشترك لجميع الأطراف الموقعة، وتضمن بند: (العمل على إيجاد حل ديمقراطي للمسألة الكردية...) مما يؤكدُ أنَّ الإقرارَ بوجود وحلِّ القضية، أو المسألة الكردية، هو مطلبٌ عامٌ لا يمكنُ المساومة عليه، وهو يعني بالضرورة وجودُ شعبٍ كردي يعيشُ على أرضه التاريخية.

وفي التفاصيل فقد حرصْنا في الجبهة والتحالف على أن نؤكدَ على عبارة (بما يضمن المساواة التامة للمواطنين الأكراد السوريين مع بقية المواطنين من حيث حقوق الجنسية والثقافة وتعلم اللغة القومية وبقية الحقوق الدستورية والسياسية والاجتماعية والقانونية...)، وكانَ الهدفُ من التأكيد على عبارة (بما يضمن) في مجال استعراض الحقوق، لكي لا

يعني ذلك تحديدها والاقتصار عليها، بل تعتبرُ تلك الحقوق، رغم تنوعها، بعضاً من شروط ومستلزمات الحلِّ الديمقراطي للقضية الكردية في سوريا، وليست كلَّها بالضرورة.

أخيراً أتمنى أن تعلن بقيةُ الأطراف الكردية تضامنها مع هذا الإعلان الذي استقطبَ حتى الآن أغلبَ أطرافِ المعارضة السورية بتلويناتها وتكويناتها المختلفة، علماً أن بنوده ستكون قابلةً للمناقشة والمراجعة مستقبلاً على ضوء ملاحظاتِ وآراءِ المتضامنين معه والمنضمين إليه، وأعتقدُ أنَّ الموقفَ الوطنيَّ الكرديَّ سيكون موحداً، لأن في ذلك مصلحة شعبنا وقضيتنا الكردية.

OOOOOOOO

في مقالةٍ له نُشرتْ في العدد السادس من جريدة الخليج (عدد٢٠٠٥/٦/٦)، عبّرَ الأستاذ إسماعيل عمر عن رأيه حيالَ العديد من القضايا ومن أهمّها ما يتعرضُ له الشعب الكردي في سوريا من سياساتٍ استثنائيةٍ أساءتْ إلى معيشته ووضعه النفسي وتطوره الطبيعي، حيث كتب:

العلاقات العربية الكردية

الشعبُ الكردي في سوريا لا يشكلُ حالة طارئةً أو أقلية وافدةً، فهو يعيش أباً عن جد في مناطق الجزيرة - كوباني - عفرين بعد أن رُسمتْ خارطةُ سوريا في إطار تقسيمات سايكس- بيكو بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٦، وهذا يعني أنّ مواطني سوريا الحاليين من عربٍ وكرد وأقلياتٍ قوميةٍ، جمعتْهم ووحّدتْهم تلك التقسيماتُ دون إرادتهم... لكنهم جميعاً ارتضوا هذا الواقع وناضلوا معاً لتحرير هذا البلد، وكانت مساهماتُ

وتضحياتُ الأكراد مشهودةً، خلّدتْها معاركُ جبل الزاوية والغوطة وبياندور وعامودة، وسقط العديدُ من الشهداءِ الأكراد لتمتزجَ دماؤهم مع دماء أشقائهم العرب وغيرهم حتى تحقق الجلاءُ وأصبحتْ سوريا، بموجب العقد الوطني والنضال المشترك، وطناً مشتركاً للجميع كأمرٍ واقع، أي أن أحداً من مكونات الشعب السوري لم يُلحقِ الآخرَ بالقوة ولم يجبرْهُ على التعايش المشترك، وارتضى الجميعُ بإرادتهم الحرةِ أن يكونوا شركاءً في بناء سوريا وتحديد معالم مستقبلها، مثلما كانوا شركاء في النضال من أجل تحريرها، وذلك على أسسٍ من المساواة والاحترام المتبادل لخصوصية وثقافة كل طرفٍ ولانتمائه وحقوقه القومية.

وفي حين اختار الجانبُ الكردي التعايشَ المشتركَ مع شقيقه العربي، طوعاً واختياراً، وسعى لتعزيز وحدة هذا الوطن، مقابل الحفاظ على مقوماته القومية، فان تيارات الفكر القومي العربي، التي تشكلتْ بعد الاستقلال، تصرفتْ بمنطقٍ متشنجٍ تجاه الأقليات القومية بشكل عام والأكراد منها بشكلٍ خاصٍ، خاصة في أواخر الخمسينات بعد إعلان الوحدة مع مصر حيث تحول الاسم الرسمي لسوريا من الجمهورية السورية، وذلك تعبيراً، في ذلك الوقت، عن كونها وطناً لكلّ السوريين، إلى الجمهورية العربية المتحدة، ثم تحولت بعد الانفصال، إلى الجمهورية العربية السورية، وذلك في إنكارٍ واضح لوجود القوميات الأخرى وإنذارٍ لها بأن سوريا هي بلدُ العرب فقط، أي بلد القومية الواحدة واللغة الواحدة والثقافة الواحدة!. ومنذُ ذلك التاريخ خضعتْ سوريا، وفي إطار محاولة تزوير الحقائق التاريخية والطبيعية، لسياسة تعريبٍ شملتْ التجمعاتِ البشرية والمعالم الطبيعية، وامتدتْ حتى إلى تسمية الولادات الحديثة في المناطق الكردية التي خضعتْ أيضاً لجملة من المشاريع العنصرية مثل الإحصاء الرجعي الذي عبّر عن

حالةٍ شاذةٍ في تعامل الدول مع مواطنيها، حيثَ تمَّ تجريدُ عشراتِ الآلاف من المواطنين الأكراد من جنسيتهم السورية، والحزامُ العربي الذي عبَّرَ عن تشكيكٍ عميقٍ بالولاءِ الوطني الكردي، واستهدفَ المشروعان تغييرَ الطابع الديمغرافي لمنطقة الجزيرة ذات الأغلبية الكردية، وفرض اللون الواحد والتنكر لأهمية التنوع العرقي الذي حظيتْ به سوريا، والذي يُعدُّ نعمةً، إذا تم التعاملُ معه بمنطقٍ حضاريٍّ عصري وديمقراطي ينطلقُ من مصلحة الوطن الذي يزيد تعددُ الثقافات القومية فيه من جمال لوحته الوطنية.

في حين رأتْ فيه الأوساطُ الشوفينية، ولا تزال، نقمةً لأنها تتعاملُ مع القومياتِ الأخرى وحقوقها بمنطقِ الدونية والشكِّ، مثلما كانت تتعاملُ منذ بداية الستينات مع القضية الكردية في كردستان العراق التي كان غلاةُ القوميين العرب يسمونها بالجيب العميل!، وكانت الحركة التحررية الكردية فيها تُصنَّفُ، في القاموس الشوفيني، في إطار الحركات الانفصالية في الوطن العربي مع غيرها من الحركات، مثل الحركة الشعبية لجنوب السودان وحركات أخرى. لكن ثبت مع الزمن أن إرادة الولاء للوطن الواحد انتصرت في النهاية، هنا وهناك، فقد شاهد هؤلاء الغلاة على شاشات التلفزيون، قبل نحو شهرين، رئيساً عراقياً من أصلٍ كردي هو جلال الطالباني يقسمُ اليمينَ الدستوري باللغتين العربية والكردية، ليصبحَ رئيساً لكل العراقيين، ورمزاً لوحدة العراق... كما رفض أمثالُهم في الجزائر الاعترافَ بالأمازيغ، البالغِ تعدادهم ١٠ ملايين نسمة، كشعبٍ له خصوصيته وحقوقُه، لكنهم الآن يسمعون في الإذاعة الجزائرية الرسمية برامج وأغانٍ أمازيغية، وينطبق الشيءُ نفسه على جنوب السودان حيث تم إقرار الكونفدرالية التي أنهت عقوداً طويلة من الحرب الأهلية.

وفي كل الحالات السابقة يفترضُ أن يتساءل الجميع.. ماذا خسرت القومية العربية في العراق، بإقرار الفيدرالية، سوى تحرير القيود التي كانت مفروضةً على الأكراد العراقيين الذين انطلقوا الآن من أربيل والسليمانية إلى بغداد للمساهمة في بناء العراق الجديد، واستعادة وتعزيز وحدته؟ وماذا خسرت أيضاً في الجزائر، بعد أن استقرت الأوضاع وخفّت الاضطراباتُ في منطقة القبائل، أو في جنوب السودان بعد أن وضعت الحربُ أوزارها وتفرغَ الجميع للعمل والتنسيقِ من أجل إيجاد الحلول لقضاياهم المشتركة والتصدي معاً لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية..

وبالمقياس نفسه، ماذا ستخسرُ سوريا من إيجاد حلٍّ ديمقراطي عادل للقضية الكردية فيها، فهذه القضية هي بالأساس قضية وطنية عامة تهمُّ كلَّ السوريين بقدر أهمية مختلف قضايا الوطن بالنسبة للمواطنين الأكراد الذين يعانون من معاناةٍ مضاعفةٍ. فهم محرومون، مرة بوصفهم مواطنين يعانون ما يعاني الآخرون من أبناء الشعب السوري، وهم مضطهدون ومحرومون مرة أخرى، بوصفهم أكراداً تشكُّ الشوفينية في ولائهم الوطني... وفي الحالتين فإنَّ رفع الاضطهاد القومي عن كاهل الأكراد يجب أن يكون أحدَ واجبات العرب وغيرهم من مكونات الشعب السوري لكي يستعيدُ الشعب الكردي دورَه الوطني التاريخي، كما أن قضية الديمقراطية والإصلاح هي أصلاً شأن كردي تدخلُ في إطار الحراك السياسي للحركة الكردية التي تطالبُ بعقد مؤتمرٍ وطنيٍ سوريٍ عامٍ تحضره جميعُ القوى السياسية الوطنية الفاعلة في البلاد بما فيها حزب البعث، مهمته صياغة برنامج إصلاحٍ وطني، يلبّي مطالب الداخل السوري، بدلاً من الاستجابة للضغوطات الخارجية.

يتبع في العدد القادم

الحوار الكردي العربي... هل يكفي ذلك؟

الدكتور أحمد الدرزي

الدكتور أحمد الدرزي:

- طبيب وكاتب سياسي، درس في كلية الطب بجامعة حلب.
- مارس العمل الطبي في «عين عيسى» حتى نهاية ١٩٩٢.
- عمل في حقل الدراسات السياسية مع مركز دمشق للأبحاث والدراسات حتى عام ٢٠٢٠م.
- ساهم في العديد من المؤتمرات والمنتديات السياسية والطبية. التخصصية.
- ينشر دراساته في قناة الميادين و(post180t) والأهرام العربي وغيرها.

ما تحتاجُه النخبُ في منطقة غرب آسيا هو مجموعة من الحوارات المُنتجة، وبمستوياتٍ متعددة، تبدأ من الحوارات الداخلية لكل طرفٍ من الأطراف، لا ينفصلُ عن الحوارات البينية والحوارات العامة، وغايتُها المساعدة على إعادة صياغة الأسئلة الوجودية بعد أكثر من مائة عام من الصراعات الدموية، وكيفية تعزيز وعي الانتقال من نظام الغلبة إلى نظام المواطنة على مستوى كل دولةٍ وكل شعبٍ، للانتقال نحو نظامٍ إقليمي جامعٍ متكاملٍ، يتيحُ لكلِّ شعوبه حريةَ الحركة والعمل، بما يتيحُ تحقيق تنميةٍ معرفيةٍ واقتصاديةٍ أخلاقيتين، تخففان من غلواء الهويات، وتحوِّلِها إلى هوياتٍ طبيعةٍ لا تقومُ برسم السياسات، بل عنصر إغناءٍ ونماءٍ.

أبرزت الاضطراباتُ والحربُ السورية بمستوياتها الثلاث، محلياً وإقليمياً ودولياً، حجمَ الكارثة التي تعرضتْ لها المنطقة، والأثمانَ الباهظة التي دفعتها شعوبُها، نتيجة إخراجها قسرياً عن السياق التاريخي العام الذي حكمها على مدى أكثر من خمسة آلاف عام.

بقيت المنطقة الممتدة من الهضبة الإيرانية إلى جنوب المتوسط عبوراً بهضبة الأناضول إلى وادي النيل، محوراً لحركة التاريخ على مدى أكثر من خمسة آلاف عام، وبدأت البشرية باستكشاف خطواتها الأولى نحو تنظيم بناء الدولة الأولى، إنطلاقاً من الجنوب العراقي قبل ٣٢٠٠ عام قبل الميلاد، لتمتد إلى كافة المناطق المحيطة بها في بلاد الشام والأناضول وإيران، لتلتقي مع الدولة المركزية القوية في وادي النيل، التي أنتجت تجربتها الخاصة في الحكم والمعرفة.

تداولت مجموعة من الإمبراطوريات السيطرة على المناطق الممتدة بين الهضبة الإيرانية وجنوب البحر الأبيض المتوسط ووادي النيل، وتحولت

مناطق الحضارة الأولى من وادي الرافدين الممتد من الخليج إلى جنوب شرق تركيا الحالية وصولاً إلى سهل أضنة ثم إلى منطقة العريش جنوب غزة، إلى ساحة صراع الإمبراطوريات التي توارثت المراكمة الحضارية للإنتاج المعرفي والثقافي ببعديه المدني الاقتصادي والعسكري، ما جعل من هذه المنطقة بؤرة تلاقي الإمبراطوريات ونتاجها الحضاري، وجعل منها بيضة القبان في صعود الدول أو انحدارها وانهيارها، ما دفع بالانزياحات السكانية للدخول بسيروة لا تهدأ بتحولاتها العنيفة أحيانا، والتدريجية أكثر الأحيان، ما تسبب بتمازجٍ لشعوب المنطقة وتحول هوياتها على مدى تاريخ المنطقة.

اتسمتْ كلُّ الدول والإمبراطوريات التي تعاقبتْ على هذه المنطقة بعدم معرفتها لمفهوم الدولة الحديثة، بل سيطرت عليها قانون شرعية المُتغلب، الذي فرض على على شعوب المنطقة نظاماً سياسياً واحداً يغيب عنه فكرة الوطن والمواطنة، ويحضر فيه مفهوم الراعي والرعية، والدين هو القاسم المشترك بين الشعوب المختلفة كهوية جامعة فيما بينها، تبعاً لقوة القائد المُتغلب الذي يفرض مصلحة إيمانه الديني على رعية مناطق سيطرته، ما يجعل هذه الدول بلا حدود ثابتة ولا روابط سوى روابط الدين بالدرجة الأولى التي تصُب عند الحاكم عبر المؤسسة الدينية المرتبطة به، وفِي أكثر الأحيان تكون هذه الرابطة الدينية الولائية أقوى من الروابط القومية، خاصةً إذا ما تداخلت مع الروابط القبلية.

هذا النمط من الدول الإمبراطورية دفع لتشكيل أُطرٍ متحولةٍ لتداخل شعوب المنطقة، خاصةً العرب والكرد والفرس والترك، بالإضافة إلى بقية الهويات التي كانت ومازالت أكثر من أن تحصى، وجعل من الإستحالة أن يتمَّ وضعُ حدودٍ فاصلةٍ فيما بينها، حتى في المناطق المركزية لتواجدها التي لم تكن صافية لأيٍّ منها، وهذا بدوره دفع لإمكانية تحول الهويات

من نمط إلى آخر، كما حصل للبيزنطيين، الذين تحولوا للإسلام بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، كما تحولوا للغة التركية خلال هذين القرنين كلغةٍ وحيدةٍ متداولةٍ، وقد أكدت الدراساتُ الحديثةُ لعلم الخرائط الجينية»جينومولوجيا» بأن الترك الحقيقيين لا يشكلون أكثر من نسبة تتراوح بين ١٤ ٪ و ٢١ ٪ من سكان تركيا الحالية تبعاً لكل منطقة من مناطقها، أما غالبية الأتراك الحاليين فإنهم يعودون بخرائطهم الجينية إلى سكان الدولة البيزنطية التي حكمت الأناضول وشمال سوريا الحالية قرابة ١٠٠٠ عام، وهذا الأمرُ ينطبقُ على كلِّ الشعوب، حيث تعودُ أصولُ بعض الكرد إلى منشأ عربي، وكذلك الأمر فإن الكثير من الكرد قد تحولوا إلى عربٍ وفرسٍ وتركٍ تبعاً لكل منطقةٍ من المناطق وقوتها التي تتيحُ تحول الهويات عبرالاندماج فيها.

وفِي أحيانٍ أُخرى يحصلُ الانزياحُ السكاني بدون تحول للهوية الأساسية خاصةً في المناطق الريفية، التي تتيح شيئاً من العزلة بسبب طبيعة الاقتصاد الزراعي المحدود والرعي، ما ينتج نوعاً من الاكتفاء الذاتي الذي لا يتيح التعاطي مع الهويات الأُخرى، وبالتالي يسمح لها بالحفاظ على هويتها الأساسية.

على العكس من السيرورة التاريخية لهذه المنطقة، كان هناك سيرورة مختلفة لتشكل الدول في العالم الغربي، حيث لعب نظام التوريث للابن الأكبر فقط في المحافظة على استمرار المُلكيات الكبيرة، على العكس من مناطقنا التي كانت تخوض صراعات الأخوة الورثة لأبيهم، وهذا النظامُ الغربي دفع باتجاه تشكيل الدولة الأمة بعد معاهدة ويستفاليا ١٦٤٨، التي تستند إلى أرض محددةٍ ثابتةٍ، تشكلُ قاسماً مشتركاً للعيش عليها والإنتماءِ إليها باعتبارها وطناً لهم، فتحولت العلاقة مع هذه الأرض إلى هويةٍ وطنيةٍ جامعةٍ، يتم التفاعلُ بين سكانها تحت سقفها ولأجلها بالدفاع عنها، وتحولت

العلاقة في هذه الدول من إطار الراعي والرعية إلى إطار المواطنة.

انتهى قانون الغلبة كإطار سياسي في الدول الحديثة على مستوى الداخل، ولكنه لم ينتهِ بمفاعيله بين نفس هذه الدول، فاندفعت للصراع الدموي الشديد فيما بينها على الأرض الأوروبية، وانتقل إلى خارجها في إطار الصراع على ثروات الشعوب الأُخرى، ما تسبب بالافتراق بين سياسات الداخل التي تقوم على أسس المواطنة والحرية، وبين سياسات الخارج التي تقومُ على السيطرة والقتل في سبيل الثروة، وبتناقضٍ رهيبٍ غير قابلٍ للتفسير.

حصلَ الصدامُ الأولُ بين نمطي الدولة الحديثةِ ودولة الغلبة مع وصول نابليون بونابرت إلى مصر واحتلالها عام ١٧٩٨، وتلاحقتْ المواجهات التي استمرتْ إلى مطلع القرن العشرين، وكان من الواضح أنَّ الدولَ الحديثة بشكلها الإمبراطوري الجديد لها اليدُ العليا، فهي كانتْ تخوضُ الحروبَ فيما بينها للسيطرة على هذه المنطقة، ما دفعها بالنهاية ومع بدء الحرب العالمية الأولى للخوض في مشروع تجزئتها على أسس هوياتٍ قوميةٍ بديلةٍ، لمنع تشكل فعلٍ إمبراطوري جديدٍ في أخطر منطقة جيوسياسيةٍ في العالم، فكان لابدَّ من تحويل الهويات القومية الطبيعية إلى النمط الأيديولوجي العُصابي المفارق لتاريخ المنطقة، وإنشاء هياكلَ دولٍ حديثةٍ ذاتِ طابعٍ قومي، في منطقةٍ غير قابلةٍ للتقسيم بحكم تاريخها التفاعلي المشترك، ما تسببَ في تشكيل دولٍ حديثةٍ مزيفةٍ بمؤسساتها السياسية والتشريعية، بينما هي قائمة على مبدأ الغلبة في محتواها الداخلي واستمرار العلاقة السياسية الداخلية وفقاً لمبدأ الراعي والرعية.

على الرغم من تجزيء المنطقة، فإن الغربَ بدوله المتعاقبة بالسيطرة على مساراتِ التاريخ العالمي، إبتداءً من فرنسا وبريطانيا وانتهاءً بالولايات المتحدة، لم تتوقفْ عن التدخل في السياسات البينية للدول التي أسستْها بعد

الحربين العالميتين الأولى والثانية، بل أدخلتْها في مأزقٍ مستمرٍ بعد زرع كيانٍ غريبٍ عن تاريخ المنطقة في فلسطين كعصا غليظة فوق رؤوس الجميع، بالإضافة إلى ضبط الصراعات البينية لدوله بما يخدمُ رؤيتها الجيوسياسية على المستوى العالمي من خلال استمرار سيطرتها على مركز العالم القديم.

كان لإدخال العامل القومي كأيدوليجيا للدول المُؤسَّسة حديثاً، دوراً كبيراً في عدم استقرار مجتمعاتٍ هذه المنطقة حتى على المستوى القومي الواحد، فقد شهدنا صراعاً عربياً عربياً وكردياً كردياً وتركياً تركياً وإيرانياً إيرانياً، وترافق ذلك مع تدخلٍ غربي واسعٍ مبنيٍّ على فهم عميقٍ وواسعٍ لتاريخ المنطقة وما أنتجتْه من هوياتٍ ثقافيةٍ متنوعةٍ، ما تسببَ في حروبٍ لم تتوقفْ بين دول المشرق في غرب آسيا، بالإضافة للحروب الأهلية داخل العراق وسوريا ولبنان وتركيا بشكلٍ أساسي، وهي قابلة للحصول في بقية الدول في حال استطاع النظام العالمي المسيطر والمهيمن من تحقيق ذلك.

تعرضتْ منطقة غرب آسيا في العقود الأربعة الماضية، لسلسلةٍ من الحروب البينية المدمرة، فكان أنْ خاضتْ إيرانُ والعراق أطول الحروب المدمرة، بعد أن تهيأ للرئيس العراقي صدام حسين، وبناءً على معلوماتٍ وإغراءاتٍ غربية، دفعتْ به لتغيير تقديراته العسكرية، والاندفاع لخوض حربٍ ارتدت سلباً على العراق وإيران، وعلى كل شعوب المنطقة، بالإضافة للحرب التي خاضها مع العراقيين الكرد، الذين يبحثون عن بناء دولة لهم، أسوةً ببقية الدول القومية التي تمَّ تأسيسُها، ولَم تكن تركيا بعيدة الصراع الداخلي، وهي الدولة الوحيدة التي استطاعت أن ترسم حدودها بالنار، بشراكة تركية كردية في معركة التحرير، تحت قيادة مصطفى كمال، وإسقاط مشروع تمزيقها على يد بريطانيا وإيطاليا واليونان وفرنسا، وعلى الرغم ومن الشراكة التركية الكردية في حرب التحرير هذه، فإن ذلك

لم يدفع لبناء تصورٍ إيجابي متجاوزٍ لمسألة الأيديولوجيا القومية، بل تمَّ الارتكاسُ إلى الخلف، وسيطرة المشروع القومي التركي العنصري على مسارات تركيا الحديثة، ما أحدث ردة فعلٍ طبيعيةٍ لدى الكرد، والبحث عن إطار قومي أيديولوجي جامعٍ، في مواجهة المشروع القومي التركي، ما تسبب بصراع دموي بدأ عام ١٩٢٥، مع اندلاع ثورة الشيخ سعيد بيران، ضد سياسات التتريك التي اتبعها مصطفى كمال، واندلعتْ من جديدٍ بعد انطلاق حزب العمال الكردستاني بخمسة سنوات، واستمرت لأربعة عشر عاماً.

ولَم يكن العراق وسوريا بعيدين عن الصراعات الداخلية، التي لا تغيبُ عنها عوامل الغلبة الداخلية، والتدخل الغربي الواسع والعميق، والاستيقاظ المدمر للهويات القومية والدينية والقبلية والعشائرية، ما دفع إلى مزيدٍ من الاستقطابات الداخلية، والمزيد من الدماء والفقر للجميع.

تدفعُ الحروب البينية والداخلية المستمرة لدول وشعوب هذه المنطقة، لطرح مجموعةٍ من الأسئلة على النخب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وأولُها هل يمكن إجراء حوار عربي كردي، بمعزلٍ عن حوار أشمل يضم إليه الترك والإيرانيون؟ أم أن السياقَ التاريخي والجغرافي والاجتماعي للمنطقة، لا يتيحُ عزل القضايا المتداخلة عن بعضها البعض، وتفرض سيرورتها على الجميع؟

السؤال الثاني الذي يفرضُ نفسَه: هل يمكن للجميع إيقافَ دورات العنف والدمار في المنطقة، من خلال استمرار المحافظة على نفس البنى السياسية المؤسسة على نظام الغلبة، أم أن الأمر يحتاج للتفكير من خارج إطار الهويات الأيديولوجية بأشكالها المختلفة؟

السؤال الثالث: هل يستطيعُ الجميعُ التحولَ نحو بنىً سياسيةٍ جديدةٍ ومختلفةٍ، باستمرار مشاريع الهيمنة الغربية، التي تتحمل المسؤولية الأكبر

بتسريع انهيار الإمبراطورية العثمانية، وتحطيم المنطقة، وهي مازالت مستمرةً بسياساتها التدميرية، خاصةً في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، حصار إيران، والتحكم بالسياسات التركية، أم أن الأمر يتطلبُ العملَ على إزالة الفعالية الغربية، بالتوازي مع التغيير الداخلي الضروري لتحقيق الاستقرار والتنمية على مستوى كل بلد من البلدان؟

السؤال الرابع: ويتعلقُ بطبيعة بقاء إسرائيل في المنطقة، ودورِها الوظيفي والعقائدي ضمن المشروع الغربي، وهي أُوجدت بشكل قسري من خارج السياق التاريخي الطبيعي للمنطقة، وهي صاحبة المصلحة الأساس باستمرار دورات العنف في محيطها، وتثبيت دورها الإداري بين الهويات المتناحرة، بما يجعلُها ضرورةً للجميع، فكيف يمكن التأسيس لحوار عميق إيجابي باستمرار وجودها كمؤثر فاعل؟

ما تحتاجُه النخبُ في منطقة غرب آسيا هو مجموعة من الحوارات المُنتجة، وبمستوياتٍ متعددة، تبدأ من الحوارات الداخلية لكل طرفٍ من الأطراف، لا ينفصلُ عن الحوارات البينية والحوارات العامة، وغايتُها المساعدة على إعادة صياغة الأسئلة الوجودية بعد أكثر من مائة عام من الصراعات الدموية، وكيفية تعزيز وعي الانتقال من نظام الغلبة إلى نظام المواطنة على مستوى كل دولةٍ وكل شعبٍ، للانتقال نحو نظامٍ إقليمي جامعٍ متكاملٍ، يتيحُ لكلِّ شعوبه حريةَ الحركة والعمل، بما يتيحُ تحقيق تنميةٍ معرفيةٍ واقتصاديةٍ أخلاقيتين، تخففان من غلواء الهويات، وتحوُّلِها إلى هوياتٍ طبيعةٍ لا تقومُ برسم السياسات، بل عنصر إغناءٍ ونماءٍ.

القضية الكردية هي أيضاً... قضية عربية (٢)

«كتبَ المفكّرُ والسياسي العربي السوري الدكتور جمال الأتاسي مقدمةً قيمةً للطبعة الأولى لكتاب الأستاذ منذر الموصللي المعنون بـ»عربٌ وأكرادٌ-رؤية عربية للقضية الكردية»-١٩٨٥.

ونظراً لما تحملهُ هذه المقدمة من أفكارٍ نيّرة حيالَ القضية الكردية العادلة، وتنمُّ عن عمقِ ثقافةٍ وروحٍ مشبعة بالإنسانية وغايةٍ نبيلة، وبهدف إطلاع أبناء الشعبين العربيّ والكرديّ على هذه الأفكار، ولتنشيط الحوار

العربي الكردي الذي نحن جميعاً بأمسّ الحاجة إليه في ظل الظروف والسياسات الدولية الراهنة التي تغيبُ عنها الجانب الإنساني، تقتطفُ «أسرة تحرير مجلة الحوار» الفقرات التالية من تلك المقدمة الهامة».

«أسرة تحرير مجلة الحوار»

من هو جمال الدين الأتاسي:

ولد جمال الدين الأتاسي في حمص عام ١٩٢٢، درس في مدارس حمص ثم انتقل إلى فرنسا لدراسة الطب، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الطب النفسي. كان من أبرز أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي منذ بدايات التأسيس، كان من مؤيدي الوحدة المصرية-السورية.

أيدَ انقلاب الثامن من آذار ١٩٦٣ وعين وزيراً للإعلام في حكومة صلاح الدين البيطار الأولى، ثم أصبح أميناً عاماً لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا. توفي في مطلع عام ٢٠٠٠ عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.

«...وإذا ما وقفت هنا لاؤكد أن يقظة القضية القومية العربية أكثر سبْقاً ومقوماتها أكثر تركيزاً في الزمان والمكان وأكثر تكاملاً من حيث مراحل التطور، في الاقتصاد والثقافة والسياسة فليس هذا لانتقاصُ في شيءٍ من الحقوق القومية للشعب الكردي، ومنها حقه الأولُ في تقرير مصيره بنفسه، وحقُّهُ في حياةٍ حرةٍ كريمةٍ على أرضه التي يتواجدُ عليها منذ أجيالٍ بعيدةٍ، وأن يكون له كيانٌ ووطنٌ..».

القضية الكردية هي أيضاً... قضية عربية

الدكتور جمال الأتاسي

القسم الثاني

لست معه مثلاً في أن يطلق على الحكم العثماني، في البلاد العربية والإسلامية، اسم الاستعمار، فمثل هذه التسمية غير مطابقة للواقع التاريخي ولطبيعة العلاقاتِ التي كانتْ قائمةً، هذا إذا ما أخذنا بالمعنى الدقيق لكلمة الاستعمار أو الكولونيالية. ولستُ معه أيضاً في المقولات التي أطلقها على شعوبٍ ومذاهبَ وأديانٍ بشكلٍ تعميمي، كتلك الأحكام التي أطلقها بشكلٍ معممٍ على اليهودية واليهود، وكذلك في الوقوف عند خصائص الشعوب وطباعِها وكأنها شيءٌ ثابتٌ، ولم يشرْ بما فيه الكفاية لما يحكمها ويحكم تشكُّلَها وتغيُّرَها من عواملَ عديدةٍ وخاضعةٍ للتغير أيضاً. وأستميحُه بذلك عذراً إذا ما وقفت عند الجانب السياسي من المسألة واسترسلت فيه وحده. ولكنني ما أظنّ أن المؤلف قد أرادني على التقديم لكتابه، إلا من حيث أنه يعرف اهتمامي بهذه القضية كمسألةٍ سياسيةٍ ولما يعرفُه من مواقفي السابقة تجاهَها. وأنا لستُ مختصاً بعلوم الاتنولوجيا وتاريخِ الأقوام لأخوضَ فيما جاء عليه بحثه منها، فما كان لي أن آخذ بالكتاب إلا من حيث مقصدِ كاتبه منه وهدفه. فهو أولاً وفي النهاية يطرحُ علينا مسألةً سياسيةً. ويعرضُ قضية شعبٍ هو الشعب الكردي، ويعرضُ مقوماتِ وجوده القومي، ومطالبِه وأهدافِه. وهذه قضيةٌ نحن في تعاملٍ معها كقوميين عربٍ، ونحنُ من جانب في تعاطفٍ معها، كما نحن من جانبٍ آخر وفي مواقع قومية كنا في تنازعٍ معها وفي صراعٍ.

وإذا كان المؤلفُ لم يضعنا أمامَ تصورٍ مستقبلي للمسألة، ولا أقام

طريقاً واضحةً لحل معضلاتها، وإيجادَ سبيلٍ للتعامل معها، فإنه يحاول أن يستشف طريقاً، وأراد أن يفتح باباً للحوار. وكأنه يريدُنا أن نبحث معه، وإنْ بالكلمة الملتزمة والتطلع بالآمال، سبيلاً لطرح تصور واقتراح حلولٍ، لقضية هي ذاتُها، وفي الظروف السياسية الراهنة للمنطقة والعالم، قضية صعبة ومعقدة وتتداخل فيها أطرافٌ عديدة. إنها مسألة لمْ تبدأ من العراق ولا تنتهي عند العراق، ولا هي بين الأكراد والعرب وحدِهم، بلْ هي تمتدُّ للعلاقات مع دولٍ وشعوبٍ غيرهما، وخاصة تركيا وإيران، وهي ترتطم بالنظام الدولي القائمِ ذاتِه وتوازناتِه الاستراتيجية واستقطاباته الكبرى وتحالفاتِه.

ولقد جلستُ إلى مؤلف الكتاب نتحاورُ حول موضوع كتابه وأفكاره وما يواجهه الموقفُ السياسي تجاهَها من صعوباتٍ، وذهبنا معاً إلى استرجاع الحوادث والمواقف الماضية وذكرياتنا عنها، ووجدتُني مع الذكريات وهي تسحبني إلى بعيدٍ، وإلى الإحساسات الأولى التي تولّدتْ في نفسي، عن وجود شعبٍ كردي ثم مسألةٍ قوميةٍ كرديةٍ، وكيف وجدتني بعد ذلك أتعاملُ معها أمام أحداثٍ معينةٍ، وأتخذُ مواقفي منها. وأرادني المؤلفُ أنْ أسردَ بعضاً منها في تقديمي لعلها تضيفُ شيئاً من الوضوح للتوجهات التي نحن بصددها الآن.

إن أول تجربةٍ مررتُ بها، ووضعتْني أمام وجود الأكراد كشعبٍ آخر على أرضٍ لقطر عربي، كانت مع نهايات ربيع ١٩٤١ وبدايات صيفه القائظ في العراق. عندما ذهبتُ ألتحقُ مع نفرٍ من الطلبة العرب في جامعة دمشق بثورة رشيد عالي الكيلاني التي قامتْ ضد الاحتلال البريطاني في العراق إبانَ الحرب العالمية الثانية. وضمتْ شلتنا لبنانياً وفلسطينياً وأردنياً وأنا السوري، وكانت آمال التحرر العربي والوحدة ملءُ قلوبنا وأفكارنا. وعندما دُمِّرتْ تلك الثورة وتقدم الجيشُ الانكليزي يقتحم ضواحيَ بغداد،

وجدنا أنفسنا مضطرين لمغادرة تلك العاصمة العربية هروباً إلى الشمال بعد أن قيل لنا أن المقاومة الوطنية تتجمع في كركوك. وأُعطيتْ لنا سيارةٌ صغيرة من تركات شركة النفط التي استولتْ عليها الثورة، ومضينا بها إلى كركوك حيث لم نجدْ من تجمعٍ ولا مقاومةٍ، إلا الغربة واستنكار المسؤولين عن إدارة المدينة لوجودنا فيها، ويممنا مع الصباح الباكر شطر الموصل متسللين بسيارتنا في دروب غير سلطانية. ولم يكن بيننا، وكلنا غير عراقي، من يعرف المنطقة أو له دراية بخارطة الدروب فيها. وانحرفنا كثيراً نحو الشمال بدلاً من أن نتجه غرباً، وتوغلنا من غير أن ندري في منطقة «أربيل» وبين الزابين الكبير والصغير. ووجدنا أنفسنا بعد سويعاتٍ من هذا التوغلِ التائهِ وقد تغيرتْ علينا كلُّ معالمِ الأرض والسكان وملامح القرى المتناثرة وأزياء البشر وسحنهم، وأحسسنا أننا أضعنا المسالك ولسنا على طريقٍ توصلُ إلى الموصل. وأخذنا نستوقفُ من نصادفُهم على الطريق، ووقفنا نسألُ من يعملون في الحقول. وكانوا يجيبون على أسئلتنا ويتحادثون فيما بينهم بلغةٍ لا نفهمُها ولا نعرفُها. وما كنا نستطيع أن نفهمهم مقاصدنا عن طريق الإشارات وبتغيير اللهجة واللغات، إلا بعد لأيٍ كبيرٍ، وأكثرُهم كان يبتعدُ عنا في استغرابٍ وكأننا قادمون من فلكٍ آخر. وضاعتْ عنا معلوماتنا الجغرافية وحسُّ المسافاتِ، وحسبنا لوهلةٍ أننا أصبحنا في الأراضي الإيرانية. وأخيراً وقفنا عند امرأةٍ عجوزٍ تعملُ منفردةً في إحدى الحقول، واستطعنا أن نفهمها أننا غرباءٌ وقد ضللنا الطريق. فأشارتْ بيدها إلى بعيد حيث أبصرنا على إحدى الهضاب بيتاً يرفرفُ عليه علمٌ ومن خلفه بضعة بيوتٍ قروية وقبابٌ. وكان مخفراً للشرطة العراقية ووجدنا فيه ضابطاً صغيراً استقبلنا بلسانٍ عربي فصيحٍ وأحسنَ استقبالنا وعرفنا منه أننا مازلنا على أرض عراقية وإنما في منطقة يقطنها قومٌ من الأكراد. وأبى إلا أن يرافقنا رجلٌ من عناصره حتى الموصل كدليل. وفي الموصل

التي وصلناها مع الغروب وجدنا أنفسنا شأناً آخر ولقينا حنو العروبة علينا بأكثر مما لو كنا عائدين إلى أهلنا وديارنا، وكذلك كان وداعُنا. ومضت الأيام وبقيت في الذهن صورة راسخة أن في شمالي العراق شعباً آخر غير شعب بغداد والموصل، ولكن قضية ذلك الشعب لم تتبلور حينها في الذهن بأكثر من ذلك.

وتتوارد إلى الذهن ذكرياتُ أحداثٍ جرتْ قبل ذلك التاريخ وبعده، وتتعلقُ بحملاتِ الاضطهاد والإبادة الجماعية التي قامتْ بها السلطاتُ التركية ضد الوطنيين الأكراد منذ قيام دولة تركيا في عهد أتاتورك حتى اليوم، وما أدتْ إليه تلك الحملاتُ من نزوحٍ سكاني عن كردستان في تركيا ومن لجوء أفواجٍ أثر أفواجٍ من الأكراد إلى سورية ولبنان. وتطالعنا كتبُ التاريخ وقصصُ الأحلاف والمعاهدات، أن معاهداتِ سعد آباد الموقعة في ٨ تموز عام ١٩٣٧ بين تركيا والعراق وإيران وأفغانستان، والتي كانت نسخةً بدائيةً عن معاهدة حلف بغداد فيما بعد، قد جاءتْ تقول بأن من أهدافها الرئيسية « تنسيق الجهود بين تلك الدول لمكافحة الأعمال التخريبية في المنطقة «، وكانت موجهة بالدرجة الأولى ضد التحركات الكردية.

في أعقاب الحرب العالمية الثانية بل وقبل ذلك عند اقتراب نهايتها، كنا مشدودين إلى مسائل استقلالنا الوطني، فلم يشغلنا كثيراً ما كان يجري هناك على «البوابة الشرقية» للوطن حين مد السوفييت وجودَهم إلى إيران وأقاموا جمهوريتهم الأزربيجانية الديمقراطية في تبريز وحولها، حين أعلن القاضي محمد بتاريخ ٢٢ كانون ثاني عام ١٩٤٦ في مدينة مهاباد قيامَ أولِ جمهوريةٍ كرديةٍ مستقلةٍ وحين وضع تشكيلاتِ جيشِها تحت قيادة الملا مصطفى البرزاني الذي انضم إلى تلك الجمهورية بعشيرته الوافدة من العراق وبمقاتليه.

ومن المفيد أن نسترجع الآن ذكريات تلك التجربة للحركة الوطنية

الكردية لما لها من دلالةٍ، ولما تعطيه من دروسٍ. ففي النصف الأول من عام ١٩٤١ وبعد إسقاط ثورة رشيد عالي الكيلاني وقع العراق كله تحت الاحتلال البريطاني من جديد، وفي آب من العام ذاته تم احتلالُ إيران حين دخلته الجيوش البريطانية من الجنوب والسوفييتية في مقابلتها من الشمال. وبقيت منطقة كردستان الإيرانية شبه طليقة بينهما، وتمتعَ سكانُها بقدرٍ من الحرية في إدارتها ذاتياً. وهنا أخذ عدد من القادة الوطنيين الأكراد وزعماء العشائر الكردية في تركيا وإيران والعراق يتلاقون حول فكرة إقامة دولة «كوردستان الكبير» لحسبانهم أن معطياتِ الحرب الدائرة وقربِهم من السوفييتِ والحلفاء تقدمُ فرصةً مواتيةً، ووقعوا ميثاقاً فيما بينهم بهذا القصد في تشرين الأول عام ١٩٤٤. وذهب وفدٌ منهم برئاسة القاضي محمد إلى مدينة «باكو» في دعوة من الاتحاد السوفياتي، وهناك حاول المسؤولون السوفييت إقناعَهم بأن مثل تلك الدعوة التي ينادون بها لقيام وطنٍ كردستاني موحدٍ ومستقلٍ مازالتْ سابقةً لأوانها، وهي غيرُ واقعية ولا ممكنة ما لم تنتصر «القوى الشعبية « في تركيا والعراق بعد إيران. وكانت توجيهاتُ السوفييت أن يقنع الأكراد في الوقت الحاضر بنوع من «الإدارة الذاتية» لكردستان إيران في إطار «جمهورية أزربيجان الديمقراطية» التي سيقيمونها وشيكاً في شمالي إيران تحت حماية الجيش الأحمر، ولكن ما أن استولى الأنصار الشيوعيون على السلطة في تبريز في منتصف تشرين أول عام ١٩٤٥ وأعلنوا قيام «تلك الجمهورية» إلا وأخذ الأكراد يرتبون أمور جمهوريتهم المستقلة، فأعلنت حركة «كومالا» التي كانت على رأس الحركة الوطنية الكردية هناك تحولها إلى «حزب كردستان الديمقراطي» برئاسة القاضي محمد الذي كان قد انضم إليها. ومع إطلالة عام ١٩٤٦ قامت جمهورية مهاباد المستقلة، ولكن سياسة التوازنات الدولية والضغوط التي مارسها الحلفاء الغربيون على الاتحاد

السوفياتي، جعلته يسحبُ جيوشَه وجمهوريته الناشئة من إيران، وعاد العلم الإيراني يرفرف في مدينة تبريز، وقبل نهاية عام ٤٦ بأيامٍ، اقتحمت الجيوشُ الإيرانية معززة بالدعم البريطاني مدينة مهاباد. فقتلت من قتلت وشنقت القاضي محمد ومن معه، وقام الملا مصطفى البرزاني وما بقي من جيشه وعشيرته بانسحابهم الطويل إلى أرمينيا السوفيتية حيث أقام لاجئاً إلى أن عاد إلى العراق أيام حكم عبد الكريم قاسم، وهكذا انتهت تلك الجمهورية الكردية لتبقى في الأذهان تجربةً وذكرىً.

ومرتْ بعد ذلك سنواتٌ سكتت فيها أو كادت، التفجرات الثورية في المناطق الكردستانية، إلا بعض التحركات والعصيانات المحدودة، لتحل محلها نشاطاتٌ سياسية وتشكيلات حزبية، أخذ الكثيرُ منها بالتمركس أيديولوجياً، كما خضعت لعمليات الانقسام والتعدد من غير أن تصل إلى صياغةٍ ناجحةٍ لوحدتها الوطنية. وبعد أن كان تركيز القوميين الأكراد على كردستان تركيا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم على كردستان إيران أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها، أخذت تحركاتُهم واهتماماتهم بعد ذلك تنصبُّ على كردستان العراق، حيث أخذت تتوالى المطالبُ والعصياناتُ وحركاتُ التمرد على السلطة المركزية. ولكن المسألة الكردية لم تأخذْ تطرح نفسَها في العراق بشكل ملحّ وحادٍّ إلا بعد ثورة ١٤ تموز عام ٥٨ وسقوط الملكية.

وفي الحقبة الزمنية التي مرتْ بين سقوط جمهورية مهاباد في إيران وقيام جمهورية عبد الكريم قاسم في العراق، وقعت تغيرات كثيرة وأحداث في منطقة الشرق الأوسط، استحوذت على كل مشاعرنا واهتماماتنا. لقد وقعت «النكبة» في فلسطين وقام كيان إسرائيل الصهيوني وسقطتْ نظمٌ عربية وتحركت الانقلاباتُ العسكرية، وجاءتْ ثورة يوليو تموز في مصر عام ٥٢ لتحدث التغيير الكبير. ونهضتْ حركة الجماهير العربية أي نهوض

وراء أهدافها في التحرر الوطني والتحرير، وفي التقدم والوحدة، ووجدتْ في جمال عبد الناصر قيادتَها التاريخية، وفي مصر عبد الناصر مرتكز ثورتها القومية الديمقراطية. وبعد أن تحقق أولُ إنجازٍ كبير لحركة التحرر العربي في تأميم قناة السويس ودحر العدوان الثلاثي عام ٥٦، واقتلاع أعتى ركائز الاستعمار القديم من المنطقة، اخترقت تلك الحركة مقوماتٍ كانت للنظام الشرق أوسطي ولهيمنة الامبريالية، وأخذت تدفع دفعاً حثيثاً على طريق الوحدة القومية، ونجحتْ تلك الخطوة الثورية الرائدة في إقامة وحدة مصر وسورية، ودمرت حلف بغداد في بغداد ووضعت القطر العراقي بثورة ١٤ تموز على طريق التحرر والوحدة. ولكن أمام هذا الدفع الجماهيري الثوري الوحدوي التاريخي، قامت تناقضاتٌ، وافترقت قوى وطنيةً كانت مؤتلفة، وتجمعتْ قوى حول حكم عبد الكريم قاسم وتجمعتْ مصالحُ فئوية أخذتْ تدفع به إلى الارتداد عن طريق الوحدة وتغذي ما عنده من نزعة إقليمية وفردية. وأخذت تغريه بأمجاد الزعامة الوحدانية والمزاودات التقدمية، وهنا جاءت المسألة الكردية تطرح نفسها من جديد على النظام العراقي، منذ أن جاء الدستور المؤقت في ٢٧ تموز، أي بعد أيام من قيام الثورة ليقول «بضمان الحقوق القومية للعرب والأكراد في إطار الوحدة الوطنية للعراق». ولقد حاول النظام القاسمي (وكان أول نظام انفصالي قام في وجه المد الوحدوي) أن يكسب الحركة الوطنية الكردية إلى جانبه إقليمياً بعد أن حظي بدعم القوى الشيوعية، ومضى إلى تدمير وسحل القوى القومية العربية المنادية بالوحدة وبعبد الناصر، ولكنه ما أن استتب له الأمر إلا وتحول ضدها لتتلقى منه أقسى الضربات حين دمر في حملة واحدة أكثر من أربعمائة قرية كردية على رؤوس سكانها. وفي ربيع عام ١٩٦٩، أخذتُ أنشر مقالاتٍ وتحقيقاتٍ صحفية في جريدة «الجماهير»، كما كتبت قبلها في جريدة «الصحافة» في لبنان، ضد نهج

نظام عبد الكريم قاسم الإقليمي والانفصالي وضد الشيوعيين الذين دفعوا به في هذا الاتجاه وتحالفوا معه. وكان بين ما تناولته بالبحث حينها المسألة الكردية. وأخذت أحذر مما يدفع إليه نظام قاسم من إقامة تناقضٍ وصراعٍ، بين التيار القومي العربي الوحدوي والحركة الوطنية الكردية، وكان تركيزي على ذلك بخاصةٍ عندما قامت ثورة «الشواف» في الموصل ضد انفصالية قاسم، وعدت فيما كتبت إلى ذكريات التجربة التي مررت بها عام ٤١ في العراق، وأكدت على ضرورة أن يقف الوحدويون العرب موقفاً واضحاً من المسألة الوطنية الكردية، وأن يقفوا موقف الإيجابية والدعم لمبدأ حق تقرير المصير للشعب الكردي، وليوجدوا صيغة تحالف وتعاون مع القوى الوطنية الكردية، موضحاً أن طريق الوحدة العربية، وأن انضمام العراق إلى الوحدة القائمة بين مصر وسورية، سيعطيهم فرصاً أوفى لتحقيق أمانيهم القومية. ولشد ما آلمني حينها ما وجّه إلي من لوم وانتقاد على الموقف الذي اتخذته، من عناصر بعثية وقومية، وبعضها جاءني من عسكريين كان لهم فيما بعد أدوارهم البارزة في التغيرات التي وقعت، وأنظمة الحكم التي توالت.

وأدى نظام عبد الكريم قاسم الدور السلبي الذي أريد له أن يؤديه حتى نهايته. وعندما ضرب حزب البعث في العراق ضربته الصائبة في ٨ شباط عام ٦٣ تحت شعار الثأر للانفصال، دعيت بعد أيام قليلة من قيام «ثورة رمضان المباركة» إلى بغداد، ولست هنا بصدد سرد الانطباعات التي تولدت عندي عن مجريات الأحداث حينها، ولكنني رجعت إلى تلك الذكريات لأقف عند حادثةٍ واحدةٍ تتعلق بموضوعها، فلقد خلوت مع بعض الإخوان بنائب رئيس حكومة الثورة المرحوم علي صالح السعدي وهو على أهبة السفر إلى القاهرة بدعوةٍ من الرئيس عبد الناصر لحضور احتفالات ذكرى الوحدة في ٢٢ شباط. وطلبنا منه أن يوضح لنا النهج الذي

تعتمده هذه «الثورة» في العلاقات الوطنية الداخلية والعلاقات العربية، ومسائل الوحدة. وبعد أن أوضح ما أوضح سألته: ماذا أنتم فاعلون تجاه الأكراد والمسألة الكردية في العراق؟ وكان توضيحُه بهذا الشأن ما يلي: «لا أكتمكم أننا قد اتصلنا قبيل الثورة، بزعماء الحركة الكردية لنضمنَ هدوءهم عند قيامنا بحركتنا، وليؤيدوا ثورتنا. ولقد قطعنا لهم عهداً بتحقيق مطمحهم في الحكم الذاتي. ونحن مصممون على تحقيق بعض من مطالبهم، فإن قبلوا كان بها وإلا فنحن قد رتبنا أمورنا بحيث نستطيع القضاء على تمردهم والانتهاء منهم في مدة اسبوعين أو ثلاثة أسابيع». واعترضتُ عليه وقلتُ له أرجو أن تكونوا أكثر وضوحاً، فموقفكم من هذه المسألة معيارٌ وطني وقومي أساسي، وكلمة إرضاء بعض المطالب لا تكفي ولا تضعُ حلاً، أما تصور القدرة على الإجهاز على ثورتهم فذلك عين الخطأ، كما وأني أراه مستحيلاً لا في أسابيع بل ولا في أجيال، ومثل هذا التفكير لا يطمئن أبداً!. وكان وعده «خيراً سيكون» وأقلع مسافراً. وبعد ذلك بأقل من شهرين، كانت محادثات الوحدة الثلاثية في القاهرة. وكان في رفقة الوفد العراقي الرسمي وفدٌ استشاري ملحق من قادة الحركات الوطنية في العراق بينهم بعض القادة الأكراد وعلى رأسهم جلال الطالباني. وخلال محادثات الوحدة، وفي اللقاءات التي كانت تجري على هامشها طرح جلال الطالباني التصور التالي: إذا كنتم بصدد إقامة اتحاد جمهوريات كصيغة للوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسورية، فإن مطالبنا كوطنيين أكراد تبقى كما هي، أي أن يكون لنا حكمنا الذاتي في المناطق الكردية في إطار الوحدة الثلاثية، أما إذا كنتم ستقيمونها جمهورية عربية واحدة متحدة، فنحن نريد لو تصبح المنطقة الكردية إقليماً رابعاً بين أقاليم هذه الجمهورية. ولقد كان عبد الناصر كما علمت مرتاحاً لمثل هذا الطرح لما فيه من تطلعاتٍ استراتيجية ومنظورٍ مستقبلي يتفق مع تطلعاته ومنظوره،

ولقد ظل الطالباني وإخوانُه بعد ذلك على علاقاتٍ طيبةٍ مع مصر عبد الناصر. إن الوحدة لم تقم لا كاتحاد جمهوريات، ولا كجمهورية عربية واحدة، وفي الواقع فإن المسألة الكردية لم تعترضْ سبلَها في شيءٍ، ولقد ظل عبد الناصر مع كل ما وقع من تقلباتٍ في مواقف الآخرين، حريصاً على أن يظل العراق متماسكاً في وطنيته وموحداً، وظل يسعى بكل إيجابية ليكون هناك وفاق عربي – كردي فيه، ولكنه ظل في الوقت ذاته يؤيد حقَّ الشعب الكردي في الحصول على حقوقه، بل وعندما عادت الصراعات تنفجرُ داميةً في العراق ظلَّ يعمل للوفاق الوطني والقومي فيه، وعندما قام اتفاق السلام بين الأكراد والبعث في ١١ آذار عام ١٩٧٠ على أساس الاعتراف بمبدأ وجود قومية كردية وحقها في أن يكون لها حكمُها الذاتي أو استقلالها الإداري في كردستان العراق، وقف عبد الناصر دافعاً إليه ومؤيداً. وكذلك كتبت أنا يومها مؤيداً، ولو أن بعض «القوميين» الغفل أو التابعين للأنظمة، وقفوا ينددون بالإجراء العراقي ووصفوه بالتفريط في حق القضية العربية.

لقد وجدتُني بحاجةٍ لمثل هذا الاسترجاع للذكريات ومجريات ما مضى حول المسألة الكردية التي نحنُ بصددها لنتعلمَ من دروس الماضي، ولنستطيعَ استيعابَ معطيات الواقع الحاضر الذي نتخبط فيه حول هذه المسألة وغيرِها لعلَّ هناك من يتلمسُ من خلالها مخرجاً وطريقاً نحو المستقبل، يخرجنا من دوامة الصراعات التي تستنزف قوانا الوطنية، ويخرجنا من الضياع واللاجدوى.

ويبقى أمامنا الواقعُ الراهن بوزنه الثقيل، ولا نملك في تعاطفنا مع قضايا تحرر الشعوب، ومع قضية تحرر شعبنا العربي ذاته وما يفرَضُ عليه من تجزئةٍ وانقسامٍ وتابعيةٍ، وفي تعاطفنا مع المسألة الكردية كقضية من قضايا تحرر الشعوب، إلا أن نحاول فهمَ هذه المسألة والتعرفَ إلى

حدودها، وإعطاء وضوح لتطلعاتها وإمكاناتها.

والحقُّ أنَّ المسألة القومية الكردية هي واحدة من المسائل المعقدة في العالم، فهي تتناولُ من ناحيةٍ الحقوق القومية لشعبٍ متواجدٍ كأقلياتٍ قوميةٍ موزعةٍ في خمس دولٍ متاخمةٍ لبعضها وبينها حدودٌ دوليةٌ فاصلة، وهي في الوقت ذاته تحملُ تطلعاتِ شعبٍ يطمحُ إلى أن يكون أمةً بين الأمم وأن يكونَ له كيانُه القومي المستقل بين الكيانات القومية في العالم.

قضيته محاصرة بواقعه كشعبٍ شاءت الظروفُ التاريخية والتحالفاتُ الدولية أن تضعَه هكذا موزعاً بين عددٍ من أقطار الدنيا، بلْ إنَّ كردستان الأصلية والتي يحددها مؤلف هذا الكتاب في حدودها الجغرافية كأرضٍ وطنيةٍ لهذا الشعب، وأياً ما ضيقت عليه هذه الأرض، فإنها تبقى محسومة في التحديات الإقليمية وفي الترتيبات الدولية، أراضٍ واقعةٌ داخل أطر دول مستقلة بعضها عن بعض. فقضيته مازالتْ إذاً أسيرة التوازناتِ والنظام الدولي، كما هي أسيرةٌ للتوازنات والنزاعات الإقليمية، فليس حلُّها كقضيةٍ قوميةٍ عامةٍ مرتبطاً بالعراق وحده ولا بالعرب كلهم، إلا في حدود، وإلا كمرحلة على طريق طويلة لم تكتملْ معالمُها بعدُ إلا إنْ كان في تصور بعضٍ من يملكون حساً تاريخياً ومنظوراً تاريخياً للتغيير في هذه المنطقة من العالم وفي العالم.

إن النظامَ التركيَّ قد رفض ومازال يرفضُ أن يكون للشعب الكردي أي وجودٍ قومي على أرضه ولا يعطيه أيَّ حقٍّ أو أية صفةٍ لممارسة هذا الوجود، بل هو يسلبُ أبناء ذلك الشعب التسمية بالأكراد، وإذا أراد وضعاً مخصصاً لهم، فلا يقبل أن يسموا إلا بأتراك الجبال.

والحكمُ الإيراني فضلاً عن حملاتِ التهجير والتنكيلِ المستمرة التي يمارسُها ضدهم، لا يقدمُ لهم من حلٍّ إلا نظاماً من اللامركزية بالنسبة لمنطقتهم، ولا يعطيهم أيَّ قدرٍ من الاستقلالية أو الحقوق القومية، بل لا

يعترفُ بوجودهم القومي.

ولكن يبدو أنَّ الوفاقَ الذي يستكملُ أبعاده اليوم بين الشعبين الكردي والعربي في العراق قد وصل إلى صيغةٍ هي أكثر معقولية وأكثر إنصافاً من أية صيغةٍ طرحت في الماضي، والأملُ بأن يتواصل هذا النهجُ ويأخذ أبعاده. إلا أن الحل العراقي للمسألة يبقى جزئياً ومرحلياً، فالعراق وحده كقطر عربي لا يستطيعَ حمل عبءِ المسألة الكردية في كليتها القومية، إنه لا يستطيعه إلا في إطار أمته العربية الكبيرة، وفي إطار دولة عربية واحدة أو موحدة.

وأعود هنا إلى التصور الذي طرحه باسم إخوانه الأكراد جلال الطالباني عام ٦٣ في القاهرة، ومن عوامل تفاؤلي لما يجري من توفيقٍ أو وفاق في العراق، أن الطالباني وإخوانُه ممن كانوا يحملون مثل ذلك التصور هم على رأس التحالف الوطني الكردي الماضي في هذا الوفاق. إن عراقاً ديمقراطياً وطنياً مستقراً منعتقاً من كابوس الحرب، يملك أن يعطي للشعبين ولكل أبناء الوطن قدراً أكبر من الحرية في كل المجالات ومن الإرادة الشعبية، ولكنه يظل لا يملك أن يعطي للشعب الكردي في إطار حدوده أكثر من الحكم الذاتي والاستقلال الإداري، ومن المساواة في المواطنية للجميع وإلا وضع وجوده ذاته في مهب العواصف التي يمكن أن تتوافد من الشمال والشرق، إلا أننا نملك تصوراً عربياً في إمكانية أن يكون للشعب الكردي كيانُه القومي القائم بذاته في إطار الدولة العربية الموحدة سواء سميناه إقليماً أو جمهورية كردية. بل ونملك تصوراً في تعميم هذه الصيغة على بقية الأقليات في الوطن العربي، أي أنْ تكون هناك صياغة للوحدة العربية الشاملة كدولةٍ موحدةٍ متعددةِ القوميات، وأمامنا أكثر من تجربةٍ ومن شكلٍ في العالم لهذه الصياغة. أمامنا مثلاً دولة الاتحاد السوفياتي، بل ومن الممكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك عندما

يكـون لأمتنـا كيانهـا القومـي الموحـد، وكمـا نـص عليـه دسـتور جمهوريـات الاتحـاد السـوفياتي، فـي أن يكـون للقوميـات غيـر العربيـة عندهـا حقهـا فـي الاستقلال الكامل وفـي الانفصـال، إذا كانـت تلـك هـي الإرادة الوطنيـة لشـعبها مـن خـلال مبـدأ حـق تقريـر المصيـر، أو إذا مـا وجـدت صيغـةً أخـرى لتحقيـق وحدتهـا القوميـة خـارج إطـار الوحـدة العربيـة.

ولكـن هـذا كلُّـه يبقـى مجـرد تصـور وتوجهـات ودعـوة للوفـاق الوطنـي والحـوار، والمنظـور أو التصـور لا يتحـول إلـى هـدف تتحـرك نحـوه وإلـى مراحـل تقطعهـا لبلوغـه، إلا إذا كان تصـوراً لقـوى فعليـة تعمـل لتغييـر الواقـع الـذي نـرزح تحـت تناقضاتـه، وإلا إذا كانـت وراءه حركـة جماهيـر وإرادات وطنيـة حـرة للشـعوب وهـذه مسـألة أخـرى تردنـا إلـى مشـكلة واقعنـا العربـي الراهـن وكيـف نواجهـه ولسـت هنـا فـي مجـال بحثـه فمـا أنـا هنـا إلا أمـام تقديـم الكتـاب، فلنقـرأه أولاً ولنضـع وعينـا القومـي أمـام الوقائـع.

وأعـود فـي الختـام لأقـول: ليعذرْنـي مؤلـفُ هـذا الكتـاب إذا مـا ذهبـت إلـى أبعـد ممـا قصـد، أو لمـا هـو أكثـر ممـا يريـد، مقـدراً لـه جهـده السـخي الـذي بذلـه، منتظـراً كتابـه الثانـي المكمـل الـذي وعـد بـه حـول هـذه المسـألة التـي تبقـى قضيـة شـعبٍ ووطـنٍ.

جمال الأتاسي --- دمشق ١٩٨٥م

كن مع الأكراد ستربح...

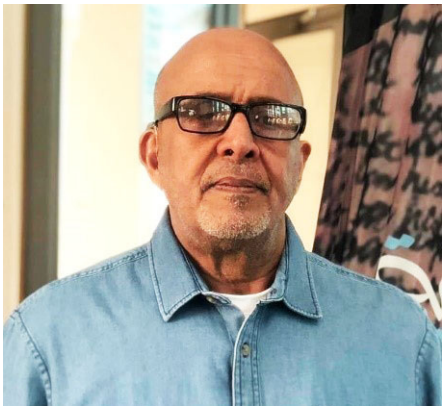

محمد الأصفر

كاتب وروائي ليبي – له خمسة عشرة رواية مطبوعة

خريف عام ٢٠١٤م زرت مدينة السليمانية للمشاركة في مهرجان كلاويز الثقافي، حيث قضيت فيها اربعة أيامٍ جميلة تعرفتُ فيها عن كثبٍ على الأدب الكردي من خلال اللقاء بعدة كتابٍ أكرادٍ وكتابٍ آخرين جاءوا من عدة دول، لإثراء الفعالية الثقافية ببحوثهم وورقاتهم الأدبية الدسمة.

قبل وصولي للمهرجان حدث لي موقفٌ في مطار استانبول، موظف الخطوط الجوية التركية لم يسمحْ لي بركوب الطائرة، ليس في جواز

سفري فيزا العراق، قدمتُ له رسالة الدعوة الرسمية للمهرجان فقال لي يوك يوك، كان في الطابور رجل كردي طويل طلب مني الدعوة وقرأها وتحدث مع موظف الخطوط الجوية قال له اتركه يركب على مسؤوليتي سيتحصل على الفيزا في مطار السليمانية، بلادهم حرب والسفارات هناك مغلقة. وفعلا ركبت الطائرة وفي المطار أخذني إلى صالة الضيوف وأخذ جواز سفري وأتم لي إجراءات الدخول، في اليوم الثاني من المهرجان التقيتُ به كان من ضمن المتابعين للمهرجان طلبت منه اسمه وعنوانه فقال لي أنا كوردستان، فيما بعد مدير المهرجان د نوزاد سألته عنه قال لي اسمه الذي نسيته الآن لكن لم ولن أنس موقفه النبيل معي.

كنا نعرف الكثير عن كوردستان وعن الظلم الذي تعرضت له حيث نهشت أراضيها عدة دول تشاركها الحدود التي صنعها الاستعمار واتفاقياته الدولية المخزية ونتابع كفاحهم وما يتعرضون له من جرائمَ لا إنسانيةٍ كجريمة حلبجة وغيرها مما تقترفها في حقهم الدول المبتلعة لأراضيهم كلما علا صوتهم مطالبين بحقوقهم المشروعة أو نظموا احتجاجاً يعبّرُ عن آرائهم.

في نشرة الأخبار الليبية دائماً ما نطالعُ بشكلٍ يومي خبراً عن كفاح الشعب الكردي من أجل حريته، وللعلم هناك عائلاتٌ كوردية تعيشُ في ليبيا منذ زمن العثمانيين حيث قام العثمانيون بتهجيرهم من وطنهم إلى عدة مدن ليبية ليتخلصوا من ثوراتهم وانتفاضاتهم ولكن لم يتأقلموا في ليبيا الجغرافيا مختلفة، افتقدوا ربيعهم وجبالهم وألحانهم وما ترددده من صدى أغانيهم وعاد معظمهم إلى كوردستان فيما بقت عائلاتٌ قليلة امتزجت في النسيج الليبي تماما فنجد لقب الكوردي في مدن طرابلس وبنغازي ومصراتة وغيرها.

صديقي الكاتب عبد السلام الغرياني كان منخرطا في المعارضة لنظام

القذافي وحينما كان يقيم في العراق الذي احتضن القوميين العرب آنذاك اقترح عليه صديقٌ كردي أن يرتدي اللباس الكوردي التقليدي الذي يلبسونه في المناسبات الوطنية وفي الأعراس وفي عيد النيروز ٢١ مارس بداية السنة الكوردية وأخذ له صورة. عندما عاد إلى ليبيا قُبض عليه وحققوا معه، لكن صورته باللباس الكردي خففت عنه كثيرا في التحقيق، حيث كان نظام القذافي يدعم الأكراد وكفاحهم ضد الأتراك وضد صدام حسين فتم الإفراجُ عنه، قال لي: **كن مع الأكراد وستربح.**

عندما يردُ إلى ذهني اسم كردستان أتذكرُ الربيع والموسيقى والحياة والبهجة وكذلك عيد النيروز الذي تعتبره الجماعات الدينية عيداً وثنياً بينما هو عيدُ فرحٍ ومرحٍ وتجددٍ واستقبالِ فصلٍ زمني جميل يبتسم ضاحكاً على رأي البحتري حبانا به الله، ولا أنكرُ أنَّ زيارتي لكردستان كانت لب بابِ خيرٍ فهناك تعرفتُ على كتّابٍ ألمانٍ ، ألمان وأيضاً أكراد لديهم جنسية المانية، أي أوراقُهم ألمانية وقلوبهم كردية، وجددتُ معهم ذكرياتي في مدينة بون التى زرتها صغيرا عام ١٩٧٩م وتعلمتُ فيها شيئاً من اللغة الألمانية التى لم تغادر ذاكرتي طيلة ٣٥ سنة خاصة الجملة الحميمية التي تعلمتها في أول يوم وطأت فيه أرض الراين مثل Ich liebe dich، وبعد عامٍ واحد فقط من زيارتي للسليمانية كنت في مدينة بون أعيش في أمن وسلام وحريةٍ حيث بدأتُ الكتابة من جديدٍ بعد توقفِ ٥ سنواتٍ تقريباً، وطبيعي جداً أنْ أكتبَ عن المكان الذي أعيش فيه حالياً فلمْ أجدْ أمامي إلا بتهوفن وتمثالَه المهيب وسط المدينة، وكتبت دون توقف ٣ روايات موضوعها ألمانيا وليبيا من ضمنها رواية بوق التي اسعدني كثيراً أنْ تكونَ أولُ ترجمةٍ عالمية لها باللغة الكردية، لغة الحب والربيع والنور والموسيقى ومقامها الكردي الحزين.

ذاتَ مساءٍ طلب مني الصديق الروائي وحيد الطويلة ايميلي، قال لي

سيتصل بك مترجمٌ كردي مبدعٌ وصديقٌ، قرأ رواية بوق وأعجبته وهو متحمسٌ لترجمتها، شكرته وأعطيته الإيميل، وتواصلَ معي المترجمُ الصديق صباح إسماعيل وشكرته وقلت له أن هذه الترجمة تشرفني كثيرا فلكردستان مكانةٌ خاصة في قلبي ودائماً أقرأ الأدبَ الكردي وأعرفُ الكثير من الكتّاب الأكراد الأصدقاء شخصياً أو عن طريق قراءة كتبهم عن طريق سليم بركات، جلال زنكبادي، برهان شاوي، الملا بختيار مروان علي، جان دوست، مها حسن هيثم حسين، حسين حبش ومحمد دلي وغيرهم.

رواية بوق تحكي عن الحب والحرب والموسيقى والسلام والتاريخ، أحداثها في مدينة طبرق الليبية والمدن المجاورة لها في مصر حيث دارت رحى الحرب العالمية الثانية، كذلك بها أحداثٌ في المانيا، وبدأت فكرتها تختمر في قلبي منذ عام ٢٠٠٣ حيث زرتُ مع زوجتي مدينة طبرق ومكثنا أياماً في ضيافة أسرة صديقي الحاج فريد الزوي وصحبنا صديقنا الكاتب عوض الشاعري لزيارة المقبرة الألمانية، وهي بناء معماري على هيأة قلعة تم بناؤها فوق تبّة مطلة على شاطئ البحر حيث يراها كل أهل طبرق، وفي المقبرة شاهدتُ القبر الجماعي الذي يضمُّ رفاةَ عدة ألافٍ من الجنود الألمان من ضمنهم بطل روايتي عازف البوق وهو شخصية خيالية للعلم، وكذلك الجدران المنقوش فوقها أسماء الجنود الذين ابتلعتهم الحرب. ومضت الأيامُ لتلح على الرواية كي اكتبها عام ٢٠١٧م وأدفع بها للنشر وأترك قراءة الرواية أو بالأحرى النفخ في البوق للقراء الأكراد الأعزاء متمنيا لهم كل الخير وأوصيهم بأن لا يفقدوا الأمل في تحقيق أحلامهم في العيش في وطنٍ كردستاني حرٍ ليس داخل الرأس وفي الأحلام فقط إنما على أرض الواقع.

دراسات

كورد منطقة آليان

كورد منطقة آليان

نموذجاً لمجتمع الفلاحين في سهول الجزيرة الفراتية (١)

«جبل إيلم المركز الروحي لمنطقة آليان وأصل تسميته»

د. آزاد احمد علي

١- الجزيرة الفراتية موطن الزراعة الأول

تعد هذه الدراسة قطاعية ونموذجية لجزءٍ مهم من سهول شمال آقور، أو شمال الجزيرة الفراتية، والتي هي ضمن منطقة كوردئين (Korduin)

بحسب المصادر اليونانية[١] . لكنها كانت تتمتعُ بخصائصَ عامة مشابهة لأغلب مناطق إقليم الجزيرة الفراتية، التي تشير المعطيات التاريخية وتفاصيل الخارطة الأركيولوجية لعصور ما قبل التاريخ أنها كانت موطن الزراعة الأول. فقد تأسست بالقرب من سفوح جبال طوروس وزاغروس وسنجار أولى التجمعات البشرية المنظمة، بدلالة الآثار العديدة التي ظهرت فيها وكذلك الأدواتُ التي تم استخدامُها. وقد أشار عالم عصور ما قبل التاريخ جاك كوفان إلى هذا الجذر الحضري المبكر والاستقرار القروي الزراعي في الجزيرة عموماً وسهول محيط سنجار خصوصاً: «إن اختلافَ الشروط المناخية من منطقةٍ لأخرى يترافقُ بسلوك تأقلمي مختلفٍ وهكذا فسنجد في هذه المنطقة حضريين ورعاةً رُحَّلاً... فقد كشف مؤخراً السهلُ العالي المحيط بجبل سنجار، بشكل أكثر وضوحاً في قرميزداره وفي نمريك عن موروث باليوليتي انتقالي يعود للفترة ٧٦٠٠ ــ ٩٥٠٠ سنة قبل الميلاد... وكما في المشرق، فان صيادين قاطفين حضريين منذ الألف الحادي عشر ق. م كانوا يعيشون في قرى. وفي منطقة سنجار نفسها، وقريباً جداً من مغزلية ويليها مباشرة، يأتي موقعان، سوتو وكول تبه، وهما أصل الثقافة العراقية المسماة حسونة ويليان مباشرة عام ٧٠٠٠ قبل الميلاد. ويمكن أن نقرن بهما قرية أم الدباغية الواقعة إلى الجنوب أكثر، وهي موجودة أصلاً في منطقة جافة. ويشكل مجموعُ هذه المواقع الثقافة المسماة أم الدباغية – سوتو حيث كان الفخار موجودا منذ ذلك الحين كما في الشرق الأدنى كله أو يكاد.» (١٩٩٩، ص٢٦٧ -٦٨ -٧٣)

إنَّ جذورَ الحياة القروية المنظمة موغلة في القدم، وقد تكون بحسب كوفان منطقة السهول المحيطة بجبل سنجار والهضاب الشمالية لها ومن

١ للتفاصيل ينبغي مقارنة ماورد عند الجغرافي اليوناني سترابون مع ما ورد في المصادر التي سبقته، لمعرفة حدود منطقة كورديين.

ضمنها رقعة دراستنا، أي منطقة آليان أحدَ أول الينابيع العمرانية الريفية الاجتماعية المستقرة والمستدامة على وجه الكرة الأرضية.

ترجحُ مجملُ الدراسات أنّ نشاطَ المجتمعات الزراعية المستقرة قد تركزت شرقَ نهر الفرات باتجاه سهول الجزيرة الفراتية حتى السهول المحيطة بجبل سنجار، حيث تكيفتْ هذه المجتمعاتُ مع البيئة الجغرافية وانتظمتْ حركةُ المجتمعات البشرية الأولى شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً لتأمين شروطٍ أفضلَ للتكيفِ مع مؤثرات البيئة الحاضنة للمجموعات البشرية الأولى، وذلك قبل حوالي (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألفَ عامٍ. حتى بلغتْ هذه المجتمعات المنظمة أوج ازدهارها في أواسط الألف السادس ق، م. مع تبلور المجتمعات المنسوبة الى موقع تل (حلف)، الذي يُعَدُّ أولَ وأهمَّ مجتمعٍ زراعي واسعٍ ومنظمٍ، وكذلك منتجٍ لأوانٍ فخارية مميزة حوالي عام (٥٦٠٠) ق م.

لقد كانتْ سهولُ الجزيرة الفراتية من البقاع الأولى على الكرة الأرضية التي انحسر عنها الجليدُ في الحقب الجيولوجية القديمة، وكانت من أولى المناطق التي توفرَ فيها المناخُ المناسب لحياةٍ بريةٍ وزراعيةٍ، حتى وفرت البيئةَ الطبيعيةَ لحياةِ واستقرارِ الإنسان الأول. يؤكد على حقيقة الجذر الحضاري لمنطقة شرق المتوسط العالِمُ الأثري جميس ميلرت: «لقد أظهرت الأبحاثُ الحديثة بشكلٍ حاسمٍ أن الحضاراتِ لم تتطور في منطقة محددة في الشرق الأدنى ومن ثم انتشرت منها. إنما على النقيض من ذلك فقد عرفت ثلاثُ مناطقَ على الأقل للحضارة في الشرق الأدنى وهي المنحدرات والوديان الغربية لجبال زاغروس ومناطق التلال التركية في بلاد ما بين النهرين وهضبة الأناضول. في نهاية العصر الجليدي تقريباً أي قبل حوالي (١٢) ألف سنة ظهرت مجموعات من البشر في الشرق الأدنى وأواسط آسيا تميزت باقتصادٍ يعتمدُ على جمع الغذاء وكان من بين

الملامح الجديدة ظهورُ أدواتٍ صوانيةٍ جديدةٍ تسمى ميكروليتسو هي غالباً ذاتُ أشكالٍ هندسيةٍ ولها مقابضٌ من العظام والخشب تستخدم في تشكيل أدواتٍ مركبة وأسلحة متنوعة.» (١٩٩٠، ص ٢٢-٢٣)

يمكنُ الافتراضُ أن الحياة الاجتماعية المرتكزة على إنتاج القوت قد نشأتْ في منطقة آليان منذ حقب قديمة، بدلالة العديد من التلال الأثرية فيها، وكذلك الأدوات الحجرية العائدة لعصور ما قبل التاريخ، التي تم استخراجُها من الطبقات الأثرية العائدة لتلك العصور. في الصورة رقم (١) المرفقة نماذج لأدوات الصيد العائد لإنسان العصور الحجرية. وكذلك مطحنة لدرس الحبوب تم كشفها في الطبقات الدنيا من السويات الأثرية لتل قرية ديرونا آغا.

«*الصورة رقم (١) مجرشة لطحن الحبوب ومقشط من العصور الحجرية - تل ديرون*»

٢- الصراع على خيرات الجزيرة الفراتية

يبدو أنّ الطبيعة الطبوغرافية غير الحصينة لأغلب مساحة الجزيرة الفراتية وكذلك جغرافيتَها الوسيطة الرابطة بين المشرق والمغربِ جعلتها

هدفاً لأطماع الإمبراطوريات المجاورة، أما العامل الحاسم الذي حوّلَ الجزيرة الفراتية الى رقعةٍ للصراع بين الإمبراطوريات فهو وفرةُ خيراتها والفائضُ في إنتاجها الزراعي عبر مختلف العصور. لذلك تحولت الجزيرة الى ساحةٍ للصراع بين الإمبراطوريتين الإيرانية واليونانية قبل الميلاد، ومن ثم أصبحت منطقة نزاعٍ ومطمعاً للقوتين العظميين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطة حيث دار الصراعُ طويلا بينهما وكانت بلدان الجزيرة هي بمثابة الغنيمة، وموضوعا للصراع. وبصرف النظر عن شكل وعناوين هذه الصراعات، فجوهرُ الصراع كان على الخيرات الاقتصادية الهائلة للجزيرة الفراتية، خاصة ثروتها الحيوانية، مراعيها وأراضيها الزراعية على ضفاف أنهار الفرات ودجلة والخابور.

هذا وقد بينت كتب الحسبة والخراج، كما أكدت معظمُ الرواياتِ التاريخية على أن منطقة الجزيرة الفراتية كانت من أغنى المناطق الزراعية، لذلك استقطبتْ أيضا وجهة الفتوحاتِ الإسلامية في مرحلةٍ مبكرةٍ. ودعمتْ دولة الخلافة الإسلامية بثروتها التي لم تكن تنضب: «كذلك عدت الجزيرة الفراتية في العصر الأموي واحدة من الأمصار الإسلامية الغنية بمواردها المالية التي وفرتها لبيت المال، فثمة أدلة كثيرة تشير إلى ما كانت تتمتع به الجزيرة من غنىً، وما يتصفُ به سكانُها من ترفٍ ورفاهيةٍ، فيروي ابن أعثم الكوفي أن حصة كلِّ مسلمٍ مقاتلٍ أسهم في تحرير الجزيرة في جيش عياض بن غنم بلغت عشرة آلاف درهم، عدا الماشية والأمتعة... ويذكر الواقدي: أنّ عبد الله بن غسان حين ارتحل عن قرقيسيا ونزل على ماكسين فتحها صلحًا على أربعة آلاف درهم من نقد بلادهم وألف حمل طعام حنطة وشعير... يمكن ملاحظة هذا الغنى من حجم الموارد التي كانت تدرها الضرائبُ السنوية على الأراضي

الزراعية للدولة الأموية، فيذكر اليعقوبي مقدار خراج الجزيرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٦٧٩ م) بقوله: وخراج الجزيرة، وهي ديار مضر وديار ربيعة، على خمسة وخمسين ألف ألف درهم، وخراج الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها خمسة وأربعين ألف ألف درهم. أما ابن حوقل، فيذكر أن نصيبين وحدها كانت تضمن في أول الإسلام ١٠٠ ألف دينار.» (الدويكات، ٢٠١٣. ص ٦)

٣- عين تجار قريش على الجزيرة الفراتية

هذا ويستنتج الباحث الدويكات بأنّ هذا الكم من أموال الجباية التي كانت تخرج من الجزيرة الفراتية كان حصيلةً لنشاطٍ زراعي واسعٍ ووافرٍ، فضلاً عن المهن المرتبطة بالفلاحة والرعي: ويعتمد على أحد المصادر السريانية لبيان مستوى خصوبة أرض الجزيرة وكثافة إنتاجها، حيث أشاد المؤرخ السرياني الراهب الزوقنيني (الذي كان حياً عام ١٥٧هـ/ ٧٧٤م) بخصوبتها، ووصفها بقوله: أما أرض الجزيرة فكانت كثيرة الخيرات، والحقولُ غنيةٌ بالكروم والمزروعات الأخرى، أما من جهة الغنى بالأموال والميرة؛ فلم يكن فيها فقيرٌ أو بائسٌ واحدٌ، فجميعُ أهل القرى مترفين، وكلُّ فردٍ منهم يملكُ فداناً من الأرض مع الماعز والحمير، ولم تكن قطعة واحدة من الأرض خالية، بل جميعها مزروعة بالحبوب والكروم، حتى أن سطح الجبل كان مزروعا بالكروم والأشجار الأخرى، خاصة الأماكن التي لم يكن بالإمكان حراثتها وزراعتها بالحبوب. أما المصادرُ الإسلامية، فتُجمع على خصوبة أرض الجزيرة، وما تميزتْ به من مواردَ اقتصاديةٍ متنوعةٍ ووفيرةٍ، فكانت قريشُ قبل الإسلام تتحدثُ عن خصوبة ارض الجزيرة الفراتية، فيذكر الأصمعي: «كانت قريشُ تسأل في الجاهلية عن خصب باعرابيا، وهي الموصل لقدرها عندهم، فلم ينلهم من خصبها

شيء، وعن ريف الجزيرة وما يليها، لأنها تعدل عندهم في الخصب باعربايا. وعندما سأل الخليفة عمر بن الخطاب عن الجزيرة وُصفتْ له بأنها خصبة جدًا، وكذلك ما أشار إليه ابن حوقل والمقدسي - وكلاهما من أهل القرن الرابع الهجري - إلى أنّ إقليم الجزيرة رفه بخصبه وأن هذا الإقليم منه ميرة أكثر العراق، أما ياقوت الحموي، فمع أنه من المصادر المتأخرة إلا أنه يورد معلومات مهمة عن إقليم الجزيرة، وذلك لتنوع مصادره وقدمها، وقد وصف الجزيرة الفراتية في معجمه بأنها، جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات. وعليه فقد كانت الجزيرة الفراتية على جانب كبيرٍ من الأهمية الاقتصادية، خاصة في مجال الإنتاج الزراعي، مما جعل الخلفاء الأمويين يبدون اهتمامًا خاصًا بالمنطقة بوصفها مركز ثقل اقتصادي للدولة». (الدويكات، ٢٠١٣، ص٧)

يمكنُ الترجيح بأنّ خيراتِ الجزيرة الفراتية المادية، وكذلك وفرة المياه والمراعي الواسعة فيها جعلتْها مطمعاً للغزاة، فضلاً عن وقوعها على الطرق الرابطة بين المشرق والأناضول فأوربا. لذلك قد يكونُ من الضروري تكرار الإشارة إلى الحملات وعمليات الغزو المتعاقبة لها، مما جعل أغلب مناطقها غير مستقرة، خاصة مناطق السهول القريبة من ضفاف نهري الخابور والفرات فضلاً عن تعرض التجمعات السكنية والقرى على جوانب الطرق العامة لتخريبٍ متكررٍ عند اجتياح او مرور القوات الغازية أو حتى جيوش الامبراطورية التي تحكم البلاد نفسها.

لقد استمرت الجزيرة الفراتية ساحة للصراع الإيراني – اليوناني فالروماني. أما بعد دخول الجزيرة الاسلام ظلت رصيداً اقتصادياً ودعماً لخزينة الدولة كما سبق ذكرُه، لكنها هُمِّشتْ وتعرضتْ للتفتيت الجغرافي بناءً على توزع مراكز الادارة فيها، وكنتيجةٍ للصراعات الداخلية بين مراكز الحكم المحلي وتناحر الحكام. فقد ذكر ابنُ حوقل وهو من أهل

نصيبين رواياتٍ مفصلةً حول الخراب الذي لحق بالقرى والبلدات حول نصيبين نتيجة لسوء حكم بني حمدان والصراع بين بني حمدان وبني حبيب على السلطة والخراج والخيرات.» (ابن حوقل ،١٩٩٢، ص١٩١)

٤- الخراب البيئي وتراجع الزراعة

أسوأ ما تعرضت الجزيرة لها إلى جانب التدهور البيئي، كانت غزوات القبائل القادمة من أواسط آسيا، بدءاً بمطلع الألف الثاني للميلاد، مما أثر بعمق على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والزراعة، وبشكلٍ خاصٍ تمَّ تخريبُ القرى المستقرة في السهول. فقد تعرضتْ هذه المناطقُ السهلية المكشوفة بشكلٍ مباشرٍ لأولى غزوات التركمان المدمرة: «منذ سنة ١١٨٥م ابتدأ الحرب الذي أثاره الشعبُ التركماني، واستمر ثماني سنواتٍ، وهم يعيثون في مناطق كثيرة تخريباً وتهديداً وذلك في أرمينيا وبلاد آشور ومابين النهرين وسوريا وقفدوقيا (كبدوكيا)... وسبب ذلك أن الأكراد كانوا ينهبون التركمان ويقتلون منهم خلقاً كثيراً وهم يشتون في برية سورية الجنوبية. فقتل التركمان نحو مئتي رجل من الأكراد، في المناطق المتاخمة لحدود ماردين. وتحاربَ الجانبان، واجتمعَ الأكراد في منطقة نصيبين وطور عبدين زهاء ثلاثين ألف مقاتل، وكذلك التركمان تجمعوا في منطقة الخابور، وعند التقاء القوتين بحربٍ طاحنةٍ انهزم الأكراد شر هزيمة، فأعملوا فيهم السيف حتى فني الجنس الكردي من كل سورية وما بين النهرين. والتركمانُ لم يكونوا يؤذون المسيحيين في السنوات الأولى لحكمهم، ولكنهم بعد ذلك راحوا يعيثون فيهم قتلاً وتخريباً. حتى اندحر التركمانُ أيضا نتيجة لحروب طاحنة مع حكام المنطقة السابقين، وحينئذ هدأت العاصفة.» (برصوم، ١٩٦٣، ص٢٨٧)

تتالت الهجماتُ والغزوات على السهول والبراري التي كان يقطنها

الفلاحون ومربي الأغنام الكورد، حتى شكلت غزوات تيمورلنك بين أعوام (١٣٩٨- ١٤٠٥م) بداية الخراب الكبير لمجتمعات سهول الجزيرة الوسطى والدنيا، هذا وكان لحكم الجماعات الغازية ذات الأصول التركية لاحقاً، طوال قرن من الزمان بين أعوام (١٤١١- ١٥١٥م) على أجزاءٍ من الجزيرة الفراتية أيضاً دورٌ سلبي في عدم الاستقرار الحضري، إذ تسببت في خراب الحياة الفلاحية واندثار العديد من القرى والبلدات. شكَّلَ الغزو المغولي وبالاً على الجزيرة الفراتية، بل مرحلةً فاصلة لعهدين. فكان غزوةُ المغول الأولى عام ١٢٢٤م بداية الخراب العمراني في الجزيرة الفراتية، قُتِل إبانها مئاتُ الألوف من أبناء الجزيرة والعراق وبلاد الشام وتمَّ تخريبُ العديد من القرى والبلدات. وقبل أن ينتعش الوضع الاقتصادي سنة ١٣٨٠م اجتاح تيمورلنك أواسط آسيا، ووصل سنة ١٣٩٣م إلى إيران والجزيرة الفراتية ومنها إلى بغداد. وقد أصابَ الجزيرة الفراتية البلاءُ الأعظم على يد هذا الغازي، فقد شرد سكانَها، وأنزل الخراب بديارها. فصارتْ منذ ذلك الحين بريةً قفراء. (داؤود، ١٩٥٩، ص٥١)

ولم تستقر الأوضاع في الجزيرة الفراتية نسبياً إلا بعد أن استولى عليها العثمانيون سنة ١٥١٦م ودخلتْ ضمن نطاق حكمهم. ويبدو أن منطقة آليان كانت الناجية من بين العديد من المناطق التي اندثرت. كما حافظت على حياتها الريفية طوال العهد العثماني، كونها كانت جزءا من إمارة بوتان في كوركيل وجزيرة ابن عمر (جزيرا بوتان)، تمتعت مجتمع آليان في ظلها بحكم ذاتي، كما سنتوسع في سرده لاحقا.

٥- أصل تسمية منطقة آليان (Devera Alîyan) وجغرافيتها

٥-١ تسمية منطقة آليان ودلالاتها

- **من إيل إلى إيلم وآليان**: أساطير صاغت هوية المكان:

تاريخ منطقة آليان يتمحور حول وجود تل / جبل، يقع في زاويتها الشمالية الشرقية، لكن الجبل ظل شمال خط الحدود الدولية (خ ح د) التركية - السورية بعد إتمام ترسيم الحدود حوالي عام ١٩٣٠م.

أصل تسمية الجبل باللغة الكوردية إيلم (ÊLIM)) كما يرد ذكره في الخرائط العثمانية بصيغة جبل إيلم (ايلم داغ). على ما يبدو بقاء اسم التل بالصيغة الكوردية وليس جبل فقط كما في الخارطة العثمانية مؤشرٌ على وجود تل فوق هذا الجبل باسم إيلم أيضا، أما الجبل فهو امتداد لجبل باكوك (BAGOK)/ طور عابدين. وقد يكون اسم جبل طور عابدين العربي المتأخر نسبياً مرتبطاً بإسم زين العابدين، أحد أحفاد الرسول (ص). وليس كما ذكره مار اغناطيوس أفرام برصوم في كتابه تاريخ طور عابدين نقلاً عن قصة الكفاني، أن الاسم متأتٍ من العبيد، وكررته عددٌ من المصادر لاحقاً. فقد وردت ضمن أخبار الطور والسرديات الكنسية بعضُ الأحداث المهمة في تاريخ منطقة آليان التي كانت ملاصقة لمنطقة طور عابدين، إذ نقل أفرام برصوم رواية تمرد الكورد على العباسيين، وهي رواية منقولة عن ابن الأثير على الأرجح: «في سنة ١٥٩٧ يونانية ١٢٨٦ ميلادية تمرد بعضُ الأكراد على الخليفة العباسي، وادّعوا أنّ المهديَ ظهر، حتى خشي بأسَهم الخليفةُ المأمونُ. فجرد حملة عليهم بقيادة الحسن، أحد قواده، وزحفت على طور عبدين ونهب دير قرتمين، فاندحر الأكراد، والمهدي المدعي به، أفلت الى بلاد اسحق بن اشوط في الجبال وهناك قطع رأسه». (برصوم،١٩٦٣، ص)، فالمنطقة مرت بأحداثٍ تاريخيةٍ ذات طابعٍ مذهبي وسياسي، ومن المرجح أن قائد التمرد ضد الحكم العباسي هو أحد أفراد آل البيت المدعومين والمحتضنين من قبل السكان الكورد المحليين، لذلك قد يكون لتسمية منطقة آليان بصيغتها المتأخرة له علاقة مع وجود أفراد من آل البيت فيها، نافسوا السلطة العباسية وشكلوا خطراً عليهم عهدئذٍ.

فهنالك تراكبٌ وتشابك وكذلك تشابهٌ بين مفردتي (آل) الكوردية و(علي) العربية، حيث تبين بعض الدراسات اللغوية – التاريخية أن إسم العلي متأت من (آل) السومري كما سنرى لاحقاً. ومهما تكن التشابكات اللغوية، فالاساطير والمعتقدات القديمة قد ساهمت بشكل صريح في صياغة الاسم التاريخي للمنطقة.

خلال دراستنا لتاريخ المنطقة، فرض التل – الموقع حضورَه الدائمَ كمكانٍ مركزي مقدسٍ، ومزاراً دينياً ومقابرَ لشخصياتٍ مجهولةٍ، تدور حولَها القصصُ. فقد نسج تل (إيلم) جانباً من ذاكرة المكان وقدسيته. لكن تبيّنَ لنا بعد البحث الميداني الواسع والتوسع في تسميات العديد من المواقع المحلية أن إيلم ليس مكاناً مقدساً ومزاراً يُبجَّلُ ويُقْسَمُ به فحسب، وإنما تسمية تتكرر في مواقع فرعية أصغر، فكثرتُها تشجع على المزيد من الجهد والجرأة في البحث عن جذر الكلمة وكذلك عن دلالة ما اشتق منها في سياقات تاريخية متعاقبة.

أهم ما يساهم في شرح بداية هذه التسمية هو جذرها الديني – القديم، فهي عائدة لآلهة قديمة، أو قد يكون معبداً منذ مرحلة البداية التي أسست لعبادة الإله الواحد. بهذا الصدد من المفيد أن نستعرض ما لخّصَه الدكتور جمال رشيد أحمد بعد قراءاته المستفيضة لتحولاتِ هذا المصطلح – الاسم عبر التاريخ: «كما الحال مع جبرائيل (رجل إيل) وميكايل (من يشبه إيل) عضوا المجمع الإلهي للربِّ أيل أعظم معبودٍ عند الكنعانيين الذي ناداه المسيحُ بصيغة أيلي أو أيلوي. ومنذ مطلع الألف الثاني ق، م. اعترفَ العبريون بهذا المعبود منذ زمن النبي إبراهيم، ثم تلقب يعقوب بهذا الاسم وأصبح يعرف بإسرائيل (مصارع إيل)، ثم اشتقت الشعوب السامية من هذا الاسم صيغته المؤنثة (ايلات) المتطورة من كلمة (الالهة). وفي الواقع، فإن أصل هذه التسمية ترجع بجذرها الأقدم إلى الاصطلاح السومري

(آل أو أل أل = الله) الـذي كان يعبـر عـن مفهـوم علـو السـماء حيـث لفظهـا الأكديـون بصيغـة (عـال أو عالـو) وكانـو يعتقدون أن بيتـه يقـع فـي أعلـى قمـم بـلاد سـوبارتو – اعتمـاداً علـى مارفيـن وهرتسـفلد – وعلـى هـذا الأسـاس أصبـح الإلـه (علياتـم) عنـد الأكدييـن والبابلييـن هـو المعبـود المعتبـر لشـعوب المناطـق الجبليـة الكورديـة واشـتهر فـي النصـوص الحوريـة بالإلـه (إيلانـي أو عيلانـي) وأصبـح يـرادف (إيليـون أو عيـل عليـون) فـي كل مـن سـورية ولبنـان، وقـد أفادتنـا طروحـاتُ مارفيـن بـوب حـول هـذا المعبـود اسـتند فيهـا علـى النصـوص الأوغاريتيـة وقارنهـا بالصيـغ العبريـة الـواردة فـي الكتـاب المقدس وفـي النصـوص الكنعانيـة المبعثـرة التـي اكتشـفت فـي كل مـن سـوريا وجنـوب الأناضـول...» (أحمـد، ٢٠٠٥، ص١٥٩).

ومـن المؤكـد أن إيـل كان إلهـاً أو معبـوداً هوريـاً فـي الألـف الثانيـة ق، م. انتقـل إليهـم مـن الثقافـة السـومرية، وبذلـك يكـون جـذر الإلـه إيـل هـو حـوري ومـن تـراث المجتمعـات الحوريـة القديمـة: «وفـي الحقيقـة وجـدت محـاولات بذلهـا مدونـو الأسـاطير لإثبـات مكانـة السـيادة للإلـه بعـل، ولكننـا نجـد فيمـا عـدا ذلـك أن الإلـه إيـل يظهـر فـي معظـم الأسـاطير والشـعائر الدينيـة سـيدا للآلهـة دون منـازع.» (فوليهلـم،٢٠٠٠، ص١٠٠)

وعلـى مـا يبـدو انتقـل عبـادة الاله إيـل أو آل من السـومريين عبـر المجتمعات الحوريـة فـي غرب سـوريا الـى الكنعانيين.

وبصيغـة أكثـر دقـة بيـن الباحـث الأثـري جرنـوت فوليهلـم أن الإلـه آلانـي Allani وبعـدة مسـميات قريبـة منهـا كانـت مـن الآلهـة المعروفـة فـي المملكـة الحوريـة – الميتانيـة: «مـن الآلهـة المعروفـة فـي الغـرب فقـط الإلـه آلانـي Allani إلهـة العالـم السـفلي التـي لا يمكـن فصلهـا عـن الإلـه ألاتـم المعروفـة مـن قبـل فـي عصـر سـلالة أور الثالثـة. ولا شـك فـي أن إسـم ألانـي ذو صلـة بالكلمـة الحوريـة ألاي (سـيدة)، امـا إسـم ألاتـم فلـم يقـدم لـه تفسـير أكـدي

مقنع حتى الآن. وبذلك فهذا الربط بين ألاتم وألاني يشكل القرينة الأولى والوحيدة – حتى الآن - الدالة على وجود الحوريين في شمالي سوريا منذ نحو ٢٢٠٠ ق.م،» (فوليهلم، ٢٠٠٠، ص١٠٧).

لذلك يبدو واضحاً أن إسم آليان أو إيليان يعود بجذوره الى أوائل تشكل حضارت الشرق الأدنى، وخاصة الحقبة الهورية - الميتانية. ومن المدهش أن أبناء منطقة آليان وجوارهم القريب يحلفون بصيغة قسم ديني معظم ب (إيلم) بدلا عن (الله) في صيغته الإسلامية الراهنة، متوجهين أثناء أداء القسم نحو الجبل الذي حافظ على تاريخاً على سلسلة المقدمسات القديمة ونقلها للمجتمعات المعاصرة.

كانت المجتمعات القديمة في منطقة آليان مرتبطة بشكل عضوي مع جبل إيلم - المكان العالي المقدس، حيث أن أيل وآل وآلاني وإيلم كلها مرادفات لمعنى واحد هو (الله) تناقلته الأجيال المتعاقبة، كما أسست في وقت لاحق لاجتماع ومعتقدات المكان - المنطقة وطبعت بالتالي جغرافيتها بهذا الاسم المقدس غير القابل للنسيان أو التبديل، بل أفترض أنها صبغت وصاغت أسماء العائلات والعشائر، فمن الملاحظ كثرة أسماء القبائل الكوردية في محيط هذا الجبل مثل: آلي، آلكا، عليكا، علوي، عليوي. بالتالي اسم آليان، الدال باللغة الكوردية حديثاً على الراية، هو موغلٌ في القدم، راسخٌ ذاتُ أبعادٍ اجتماعيةٍ وطقسية ومثيولوجية مقدسة بشكل أساسي، واحتوت بصرياً على العديد من الرايات كمؤشر على قدسية هذه المزارات والقبور.

٢-٥ الجغرافيا والحدود والسكان

تتمتع منطقة آليان بحدودٍ جغرافية شبهِ ثابتة، شكلت شخصيتها المكانية المحددة والمتميزة، بالتالي لها جغرافيتها الاعتبارية التي تتوسط مدينتي جزيرا بوتان ونصيبين التاريخيتين. كما يمر عبر أراضيها أهم طريقين بريين في الجزيرة الفراتية، وهما طريق نصيبين – جل آغا - الموصل

وطريق نصيبين – ديرون - جزيرة ابن عمر، وهذا الأخير تحول الى الشمال بعد تقسيم كوردستان وبالتالي انقسمت جغرافية أراض آليان نفسها.

إنّ وضوحَ وثباتَ حدودِ منطقة آليان استندتْ على خلفيةٍ طبوغرافيةٍ وجغرافيةٍ، فجغرافيتها ذاتُ شكلٍ مستطيلٍ، يحدها شمالاً السفوح الشرقية لجبل Bagok (طور عابدين)، وجنوباً السهولُ الشمالية لجبل سنجار. في حين يحدها شرقاً نهرا هزافي (نهر جل آغا) وكري ديران، وغرباً نهر جرح (نهر تربسبي)، بطول متغيير شمالا – جنوبا كان يتراوح بين ٦٠ - ٨٠ كم وعرض شرق - غرب يتراوح بين ٣٠ – ٣٥ كم، وبمساحة وسطية إجمالية تقارب حوالي (٢٠٠٠) ألفي كيلومتر مربع، وهذه الجغرافية كان محددة وثابتة خاصة في العهد العثماني.

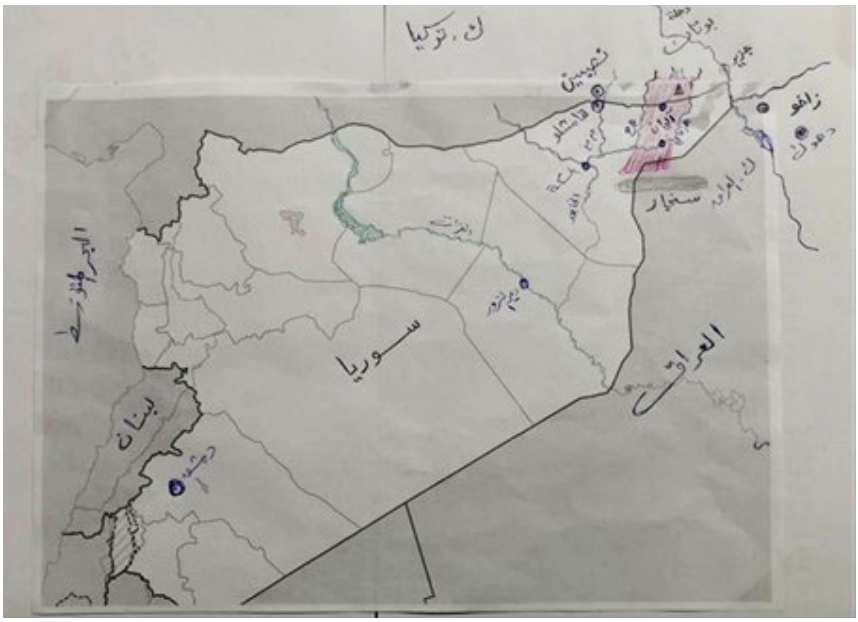

«الخارطة رقم (١) تبين حدود وموقع منطقة آليان بالنسبة للدول الثلاث تركيا، سوريا، العراق.»

وانخفضت المساحة إلى أقل من ذلك، أي حوالي ١٥٠٠ كيلو متر مربع بعد ترسيم وتثبيت الحدود بين تركيا وسوريا بشكل نهائي عام ١٩٣٠م.

حيث ظل حوالي ٢٠٪ من منطقة آليان شمال الحدود الدولية، وربما تكون حدودها الفعلية حتى ما بعد جبل إيلم وصولاً الى (كيلا حمكا) أي بحوالي (١٢- ١٥) كم شمال (خ ح د). هذا وقد أخذت السلطات التركية معها الناحية إدارياً ورمزياً، إذ يوجد مقرٌ لناحية آليان على الطريق العام الواصل من جزيرا بوتان ونصيبين المار شمال (خ ح د) بحوالي ثماني (٨) كيلومترات، لأن مركز الناحية التاريخي، أي بلدة ديرونا آغا ظلت جنوب الحدود داخل سوريا، واستمرَّ مركزاً للناحية لسنواتٍ عديدة حتى أواسط القرن العشرين، حيث تمَّ نقلُه الى تل كوجر على الحدود العراقية.

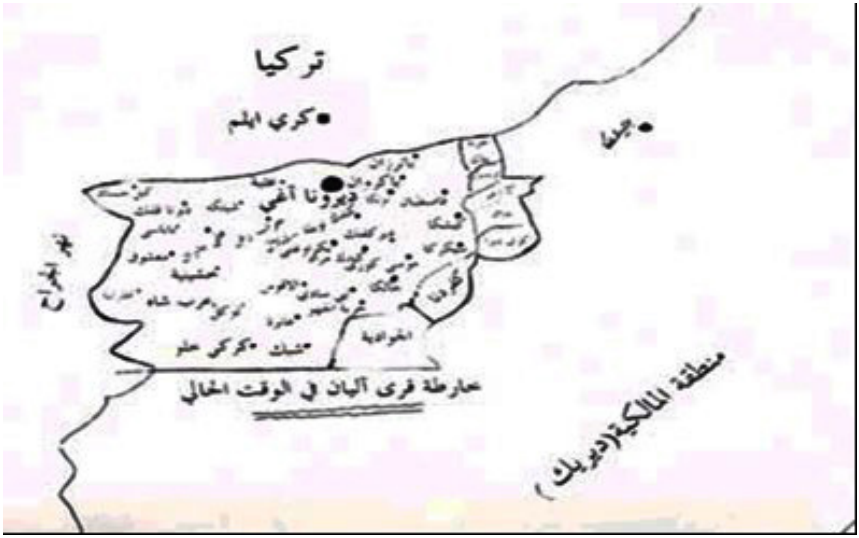

«الخريطة رقم٢ تبين بعض تفاصيل منطقة آليان بالنسبة لجوارها»

أراضي آليان بمعظمها غضارية وسيلتية صالحة للزراعة، تكثر الأحجار البازلتية في القسم الشمالي منها، كما تكون التربة سيلتية رملية

أقل خصوبة في الجنوب. ترتفع المنطقة عن سطح البحر كلما اتجهنا شمالاً، أما معدل ارتفاعها عن سطح البحر فيتراوح بين (٣٥٠) متر في سهولها الجنوبية وحتى حوالي (٥٠٠) متر عن سطح البحر في الهضاب والسفوح الشمالية قرب (خ ح د)، لترتفع الى أكثر من ذلك كلما اتجهنا شمالا، خاصة عند جبل إيلم وكري أزدينا.

تتمتع المنطقة بمواردَ مائيةٍ وفيرةٍ من أنهرٍ وينابيع. حيث ينبع من هضابها الشمالية أربع أنهر رئيسية هي من الشرق إلى الغرب: نهر سفان الذي ينبع من شرق جبل إيلم ويصب في نهر دجلة شرقا، أما أنهر كري ديران، هزافي وجرح فيتجهون نحو الجنوب الغربي لتتحد مع نهر جق جق (هرماس)، الذي يصبُّ بدوره في نهر الخابور جنوباً، حتى تصل مياهُها جميعا الى نهر الفرات في جنوب غرب الجزيرة الفراتية. أما في السنوات المطيرة فإن قسم من المياه تفيض وتنشق عن هذه الأنهر وتجري بإتجاه سنجار لتصب في الوديان الجافة، منحدرة نحو بادية العراق حتى تتجمع في بحيرة الثرثار غرب العراق.

معدل هطول الأمطار في آليان بحدود (٤٠٠) ملم في معظم السنوات، كما تسقط الثلوج فيها أغلب السنوات، لذلك تنجح في آليان الزراعة البعلية، خاصة الحبوب والبقوليات، كما كانت تساعد وفرة وفائض المياه السطحية من الينابيع، الآبار وقنوات المطاحن على الزراعة المروية، خاصة الأرز والقطن، وكذلك الذرة والسمسم، اضافة الى أصناف عديدة من الخضار وأشجار الفاكهة.

٥-٣ عدد القرى والسكان

كان عدد القرى التاريخية في منطقة آليان حوالي ٩٠ قرية إبان العهد العثماني، ظل حوالي عشرة منها شمال (خ ح د) في مرحلة الانتداب الفرنسي، وكانت تندثر بعض القرى وتعود للحياة بحسب الظروف السياسية

والقلاقل الاجتماعية بمعدل ١٠٪ من مجموع القرى، أما عدد القرى القائمة حاليا في حدود منطقة آليان فهي أيضا تقارب الثمانين قرية، لأنه بعد عام ١٩٥٢م تم استحداث وبناء قرى عربية على أنقاض قرى كوردية مهجورة، ذلك لتوطين البدو في السهول الجنوبية لآليان، وهي حوالي ٢٥ قرية.

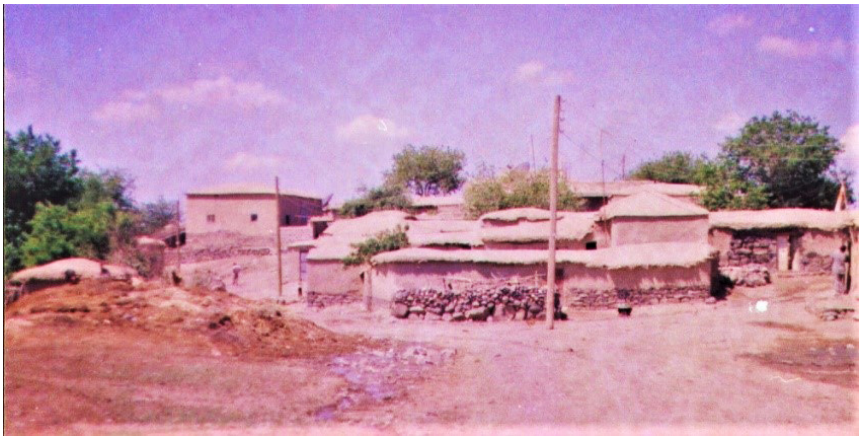

«جانب من قرية قاستبان التاريخية (تعود الصورة لعام ١٩٩٨)»

أما عدد القرى التي كانت قائمة بحسب سجلات إحصاء عام ١٩٦٠ فهي (٥٤) قرية بمجموع سكان يقدر ب (١٢٣٠٥) اثنتا عشر وثلاثمائة وخمسة أشخاص. حيث استمرت أغلب قراها التاريخية عامرة منذ مئات السنين وأبرزها هي: **ديرونا آغي، جل آغا، جل برا، باترزان، كفري دنان، آبر، ماشوق، علي بدران، آلا قوس، كري ديران، خراب بازار، توكل، كركي خلو، كربكيل، كري بري، كري كولي. تل علو...**

٥-٤ الطبيعة الطبوغرافية

طبوغرافية وجغرافية منطقة آليان مميزة تبدو كشكل مستطيل أو شبه منحرف ينحرف ويتسع في الجنوب، ولكن ما ميزه وجعل من المنطقة

موطناً لأقدم المجتمعات المنتجة والمستقرة هو الطبوغرافية المساعدة على التكيف مع المناخ والبيئة الطبيعية. ففي الشمال تحده الجبال التي تتلاءم مع ظرف المعيشة صيفاً، وتناسب الارتفاع في درجات الحرارة، كما تشكل ملجأ ومأوىً ضد الأخطار والغزوات. في حين في الوسط أراضيها شبه صخرية، مؤلفة من هضاب ووديان تكثر فيها الأنهر والينابيع العذبة التي توفر شروطاً سهلة للمعيشة. أما في الجنوب فهي أرض مستوية وبرية ممتدة نحو محيط جبل سنجار الغربي، تناسب هذه السهول رعي المواشي في فصل الشتاء.

٥ـ٥ الموارد المائية

أن وفرة المياه السطحية الغزيرة المتغذية والمنبثقة من طبوغرافية المنطقة قد أسست لحياة المنطقة الاجتماعية والاقتصادية، بل أفترض أن للماء علاقة بمثيولوجيا وجذر معتقدات المنطقة، خاصة بوجود قرية تاريخية تسمى كفري دنان (الدنان الحجرية)، وهي آثار حجرية لدنان مقلوبة بجوار بحيرة جفت مياهها، كانت مركزا لنشاطات طقسية وترفيهية في عهود ما قبل التاريخ على الأرجح.

يتبع في العدد القادم

المراجع:

١) ابي القاسم بن حوقل النصيبي. كتاب صورة الأرض. مكتبة دار الحياة. نسخة معدلة عن طبعة ليدن الأصلية. بيروت لبنان. ١٩٩٢م

٢) إسكندر داؤود. الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر، دمشق ١٩٥٩

٣) أفرام برصوم. تاريخ طور عبدين. ترجمة: بولس بهنام. بيروت ١٩٦٣ ـ

٤) جاك كوفان. الألوهية والزراعة، ثورة الرموز في العصر النيوليتي. تقديم: د. سلطان محيسن. ترجمة: موسى ديب الخوري. دمشق ـ ١٩٩٩

٥) جرنوت فوليهلم – الحوريون – تاريخهم وحضارتهم

٦) ت: د. فاروق إسماعيل. حلب – ٢٠٠٠

٧) جميس ميلات. أقدم الحضارات في الشرق الأدنى. ترجمة: د. سلطان محيسن. ومحمد طلب. دمشق – ١٩٩٠،

٨) د. جمال رشيد أحمد. ظهور الكورد في التاريخ. أربيل ٢٠٠٥

٩) فؤاد عبد الرحيم الدويكات. الأحوال الزراعية في إقليم الجزيرة الفراتية في العصر الأموي. المجلة الأردنية للتاريخ واللآثار. المجلد ٧ العدد ١، ٢٠١٣م.

١٠) جولات ومعاينة ودراسات ميدانية. حوارات واسعة مع السكان

شخصيات كوردية

شخصيات معاصرة:

المناضل رشيد حمو

شخصيات تاريخية:

الملكة أوقنيتوم Uqnitum

أ- شخصيات معاصرة:
المناضل رشيد حمو

أحد أبرز القامات السياسية الكوردية في جيايي كورمينج (منطقة عفرين)

محمد كرداغي

رشيد حمو (١٩٢٥ ـ ٢٠١٠ م) ابن عائلة فقيرة في قرية هوبكا القريبة من بلدة راجو التابعة لمنطقة عفرين (جبل الكرد)، توفيت زوجته خديجة إبراهيم قبله سنة ٢٠٠٨م، له أربعة أولاد وثلاث بنات. تتلمذ في البداية على يدي شيخ الجامع بالقرية، ثم درس في مدرسة راجو أعوام (١٩٣٣ ـ ١٩٣٥). ودرس الصف الرابع في مدينة اعزاز، ومن ثم الحق بالمدرسة الخسروية الإسلامية بحلب سنة ١٩٣٩.

عند بدء الحرب العالمية الثانية وبسبب الفقر والحاجة، انقطع رشيد عن الدراسة، فعاد إلى قريته ليعمل معلماً في قرى المنطقة بدءاً من قرية خلالكا. عَلِم الراحلُ من شرطيٍّ في مخفر بلبل بوجود مجلةٍ تصدر في دمشق باللغة الكردية، فراسل صاحبها الأمير جلادت بدرخان ليحصل فيما بعد على نسخ منها، وتعلّم القراءة والكتابة باللغة الكردية، وقام بفتح مدرسة بعفرين، وبسبب تأسيسه مع رفاق له لجمعية ثقافية كردية، تعرض للسجن، وتم اغلاق المدرسة عام ١٩٥١، ففتح مدرسة في قريته.

انتسب رشيد حمو لصفوف الحزب الشيوعي عام ١٩٥٢، وعمل كادراً له في المنطقة، ثم ترشح لانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٥٤، ونشط كشيوعي في منطقة منبج والباب وادلب، ثم ترك الحزب الشيوعي بسبب رفض قيادة الحزب لأفكاره حول الحقوق الكردية. شارك في مجلة روناهي التي كان يصدرها الأمير جلادت بدرخان في دمشق، كما شارك في عدد من الجمعيات الثقافية في الخمسينات، وهو أحد المؤسسين السبعة لأول تنظيم كردي في سوريا (إلى جانب: عثمان صبري ـ شوكت نعسان ـ محمد علي خوجه ـ حميد حاج درويش ـ خليل محمد عبد الله ـ حمزة نويران).

تعرف على الدكتور نوري ديرسمي عن طريق صديقه جميل كنه وبقي يتردد عليه، كما عمل على تعليم الناس القراءة والكتابة باللغة الكردية وبث الروح القومية فيهم (بحسب كتاب جبل الكرد ـ د. محمد علي عبدو). سافر في عام ١٩٥٠ برفقة محمد علي خوجة إلى الجزيرة للاتصال بجمعية خويبون، وعلم بأنها لم تبق مستمرة.

فتح مدرسة تجهيز خاصة في مدينة عفرين عام ١٩٥١، وفي نفس السنة أسس مع مجموعة متنورة منهم شوكت نعسان جمعية ثقافية تهتم بالثقافة ومكافحة الجاسوسية التركية، ثم تعرض المؤسسون للاعتقال بعد

عدة أشهر للسجن لمدة تزيد عن شهر، ثم أطلق سراحه في عهد اديب الشيشكلي وأغلقت المدرسة، وتمت مصادرة محتوياتها، وانتسب بعدها لمنظمة أنصار السلم عن طريق جيكرخون، ثم أصبح عضواً في الحزب الشيوعي عام ١٩٥٢ حيث تم تأسيس أول تنظيم شيوعي في منطقة عفرين، وأصبح كادراً متفرغاً له، ونال أصواتاً لا بأس بها في انتخابات البرلمان السوري عام ١٩٥٤ فتوطدت علاقته مع عثمان صبري ومحمد علي خوجه إضافة لشوكت نعسان لتصل إلى حد تأسيس أول تنظيم كردي في سوريا عام ١٩٥٧، فاستفاد هو ورفاقه (شوكت نعسان ـ محمد علي خوجة ـ خليل محمد) من خبرتهم التنظيمية في الحزب الشيوعي في تعديل وثائق تأسيس الحزب وأصبح عضواً في المكتب السياسي للحزب بعد التأسيس، وعمل كادراً متفرغاً له واعتقل عام ١٩٥٨، وفرضت عليه الإقامة الجبرية لعدة أشهر، فتوارى عن الأنظار إلى أن تم اعتقاله عام ١٩٦٠ في حلب، وبقي مسجوناً حتى حدوث الانفصال بين سوريا ومصر (كانت زوجته خديجة صلة الوصل بينه وبين رفاقه خارج السجن)، واعتقل أيضاً عام ١٩٦٤ ليقضي مدة سنة تقريباً في السجن.

تم تكليفه حزبياً بالسفر إلى تركيا لمساعدة الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ تركيا الذي كان قد تأسس حديثاً. وتعرض للمطاردة من قبل الأمن التركي، ثم عاد من تركيا. وكلفه رفاقه للذهاب إلى لبنان والاتصال بمنظمة الحزب هناك وبالصحافة العالمية، وبقي هناك لمدة سنة، حيث بنى صداقاتٍ عديدة ونشر مقالات في الصحف والمجلات اللبنانية.

التقى رشيد حمو بالمرحوم جلال الطالباني بعد بيان ١١ آذار عام ١٩٧٠ وسافر إلى كردستان العراق استجابة لتوحيد طرفي الحزب (الذي تعرض للانشقاق الأول عام ١٩٦٥، وفي عام ١٩٧٠ انعقد المؤتمر الوطني الكردي برعاية القائد الراحل مصطفى البارزاني لتوحيد طرفي الحزب

(عرّفا حينها باليمين واليسار) وتشكلت قيادة مرحلية (حياد) وبقي في بغداد حيث تم تعيينه رئيساً للجنة تحرير مجلة الكادر التي كان يصدرها الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ العراق في بغداد، ظلّ في ذلك العمل سبعة أشهر، ثم عاد بعدها إلى سوريا ليعمل في صفوف الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا.. تعرض للاعتقال والملاحقة والمضايقة من قبل النظام السوري وعاش حياة صعبة، واضطر لترك العمل التنظيمي عام ١٩٩٣، لكنه بقي مرتبطاً بشعبه حتى آخر يوم من حياته، حيث توفي بحادث سيرٍ مؤلم على الطريقٍ، وذلك في منطقة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٠/١٢/١٧، ونقل جثمانه إلى قريته هوبكا وبتاريخ ٢٠١٠/١٢/١٩ ووري الثرى وسط حضور جماهيري كبير بمراسم مهيبة لائقة شاركت فيها أكثرية فصائل الحركة الكردية في سوريا وألقيت كلمات عديدة منها كلمة الدكتور خليل محمد وكلمة حميد حج درويش.

كرس الراحل كل حياته من أجل تحرير شعبه الكردي في سوريا من الجهل والاضطهاد وتنويره بالعلم والثقافة والسياسة.

رحم الله المناضل رشيد حمو، وستبقى الأجيال من أبنائه وبناته يتذكرونه باعتزاز.

وفيما يلي قائمة ببعض الكتب التي قام الراحل بتأليفها:

١- المسألة الكوردية في سوريا- البدايات وآفاق الحل (قطع متوسط ٢٠٠صفحة). مطبوعة ومفقودة من الأسواق.

٢- الحركة الكوردية في العلاقات الدولية (قطع متوسط ٤٠٠صفحة). مطبوعة ومفقودة من الأسواق.

٣- ثورة جبل الأكراد (حركة المريدين). (مخطوطة).

٤- أكراد سوريا وحق تقرير المصير. (مخطوطة).

وستنال هذه المؤلفات اهتمامنا في الأعداد القادمة من مجلة الحوار.

ب - شخصية تاريخية من أسلاف الكورد: الملكة أوقنيتوم Uqnitum

رستم عبدو

باحث أثري

لعبت المرأة الأوركيشية دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية خلال الألف الثالث ق.م، وبرزت أسماء من داخل القصر الملكي لسيداتٍ كانت لهنّ اليد العليا خلال فترة حكم أزواجهن للمدينة، كما توضح الأختام المكتَشفة في أوركيش (تل موزان)[1] وطبعاتها التي حملت أسماء

---

١ تل موزان أو ما يعرف تاريخياً بأوركيش يقع في الطرف الشمالي الشرقي من سوريا ضمن مثلث حوض الخابور العلوي، بالقرب من بلدة عامودا، ويبعد التل عن مدينة قامشلي حوالي ٢٠كم غرباً. يعتبر تل موزان أحد أكبر المواقع الأثرية العائدة لفترة الألف الثالث والثاني ق.م (برونز قديم و وسيط) , وإحدى أولى المراكز الدينية في شمال ميزوبوتاميا. التنقيبات النظامية في الموقع بدأت في عام ١٩٨٤ من قبل البعثة الأمريكية بإدارة مارلين وجورجيو بوتشيلاتي Marilyn and Giorgio Buccellati، وتمكنت البعثة بعد عشر سنين من العمل المتواصل من اكتشاف هوية أوركيش الحورية وذلك في عام ١٩٩٥ بعد العثور على طبعة ختم في القصر الملكي كتب عليها توبكيش حاكم أوركيش.

أصحابهـا، كتلـك العائـدة للملكـة أوقنيتـوم Uqnitum وتلـك العائـدة للملكـة تـارام أكادا Taram Agade وأيضـاً للمربيـة (الحاضنـة) زامينـا Zamina وللطباخـة (رئيسـة الطباخيـن) تولـي Tuli. لعـلّ الـدور الأبـرز كان لأوقنيتـوم زوجـة الملـك الحـوري توبكيـش) Tupkish الربـع الأخيـر مـن الأف الثالـث ق.م) ويحمـل اسـمها معانـي آكاديـة[٢] وتعنـي Lapis Lazuli girl أي فتـاة الـلازورد.

ويُعتقـد أن «توبكيـش» قـد تزوجهـا ضمـن سـياق المصاهـرات السياسـية والدبلوماسية التـي كانـت دارجـة خـلال الألفين الثالـث والثانـي ق.م كمـا تـزوج خليفتـه فيمـا بعـد بتـارام أكادا ابنـة الملـك الأكادي نـارام سـين حفيـد شـروكين (سـرجون) وكانـت تلـك المصاهـرات مـن شـأنها أن تـؤدي إلـى تمتيـن العلاقـات وأواصـر القربـى بيـن الممالـك المتواجـدة فـي تلـك الفتـرة وإن كانـت مؤقتـة.

عثـرت البعثـة الأمريكيـة العاملـة فـي «تـل مـوزان» علـى عشـرات الأختام[٣] وطبعاتهـا العائـدة للملكـة أوقنيتـوم ضمـن الجنـاح الخدمـي المكتشـف؛ حيـث غـرف الخـزن والمطبـخ والمسـتودعات.

وكانـت هـذه الأختـام صغيـرةً مـن الحجـر وبارتفـاع يصـل إلـى نحـو ٢سـم وتحمـل مشـاهد وصـوراً تـدلُّ علـى أدوارهـا المتنوعـة داخـل القصـر الملكـي، وغالبـاً مـا كانـت تلـك الطبعـات موجـودة علـى الجـرار والصناديـق والسـلال والحقائـب والحوايـا والأبـواب.

يبـدو أن أوقنيتـوم كانـت مسـؤولة عـن اقتصـاد المملكـة خـلال فتـرة حكـم زوجهـا توبكيـش، حيـث أن البضائـع أو المزروعـات التـي كانـت تـزرع فـي أراضـي المملكـة أو المناطـق المجـاورة التـي كان يتـم شـحنها للقصـر؛ كانـت

2 Giorgio Buccellati, 2013, p 85

٣ ترافـق ظهـور الأختـام الأسـطوانية مـع ظهـور الكتابـة حوالـي أواخـر الألف الرابـع قبـل الميـلاد، وذلـك نتيجـة لتعاظـم الـدور الاقتصـادي والتجـاري والحاجـة إلـى التوثيـق مـن جهـة وظهـور الملكيـة الفرديـة مـن جهـة أخـرى

تمهر بختم الملكة وكانت تخزن في مستودعات عائدة لها داخل القصر، حيث أنه من ضمن ١٢٣ من الأختام المكتشفة أو طبعاتها كُتبَ عليها عبارة «الملكة/ NIN أو «أوقنيتوم زوجة توبكيش/ DAM TupkiŠ " أو أسماء أشخاص مرتبطين بخدمتها.

كان أشخاص ينوبون عن الملكة في تخزين البضائع في القصر، وعملاءٌ كانوا يعملون لصالح الملكة في الخارج، وكان هؤلاء يشرفون على شحن المواد للقصر، وبالتالي كانت هناك شبكة واسعة من الموظفين والعاملين سواء داخل القصر أو خارجه والمدينة إما في مجال الزراعة أو التجارة، وكان هؤلاء - كما ذكرنا - تابعين مباشرة للملكة أوقنيتوم أو يعملون تحت إمرتها[4] وكان معظم العمال والموظفين وناقلي العربات على معرفة بوجود ختمها على البضائع.

شخصية أوقنيتوم القيادية ودورها المميز في القصر قد يكون نابعاً من البيئة التي عاشت فيها في السابق قبل مجيئها لأوركيش، أو قد يكون في الغالب نتيجة استقلالية المرأة في أوركيش وتحررها وبالتالي انفتاح الملك توبكيش والمسؤولون البارزون في القصر على الملكة الجديدة وتقديمهم للتسهيلات اللازمة لبروز شخصيتها.

من الأختام التي تعكس دورها.. جلوسها بمحاذاة زوجها برفقة أولادها دون تأخير أو تقديم في مشهد عائلي (الشكل رقم ١) بنفس الحجم والسوية وعلى كرسي مشابه، وهو مشهد من النادر وجوده في الفن الميزوبوتامي، ويستَدل من المشهد أنها لا تقل مرتبة عن زوجها، وعلى عنصر التشاركية في إدارة الحكم، كما إنه يعكس قوة العلاقة والرابطة الزوجية.

4 Marilyn Kelly- Buccellati, 2010 b, p 191

الشكل رقم (١) طبعة ختم للملكة أوقنيتوم تظهر فيها برفقة زوجها وأولادها. الصورة مأخوذة من مقالة منشورة لجورجيو ومارلين بوتشيلاتي ٢٠٠١.

ودور المرأة في الإدارة وأنها هي المسؤولة عن الأمور اللوجستية والبضائع الداخلة للقصر. كما يستدل على انها الزوجة المقربة والأم لحكام أوركيش المستقبليين، وبالتالي هذا المشهد كما تقول مارلين كيلي بوتشيلاتي «يمثل رسالة شخصية وسياسية تتمحور حول أحقية انتقال الحكم إلى الابن كوريث للعرش» بالإضافة إلى أن المشهد يرسخ من مكانتها المرموقة داخل قصر زوجها.

كذلك يوجد طبعة ختم تظهر فيها العازفات إلى جانب صورة لها وللمربية وللوصيفات ولأولادها في مشهد نسائي كامل (الشكل رقم ٢) يحمل في طياته عدة دلائل بالإضافة لإضفاء طابع الهيبة على النقش كإظهار جزءٍ من مشاهد الحياة اليومية التي كانت تعيشها الملكة داخل مملكتها، كما أن المشهد يظهر العلاقة القوية التي تربط زامينا المربية مع الملكة بشكلٍ خاص والقصر بشكل عام ويوضح الدور الذي لعبته زامينا

كإحـدى الشـخصيات النسـائية القويـة ضمـن القصـر.

الشكل رقم (٢) طبعة ختم للملكة أوقنيتوم تظهر فيها برفقة ابنتها و زامينا ووصيفاتها إلى جانب العازفات. الصورة مأخوذة من مقالة منشورة لجورجيو ومارلين بوتشيلاتي ١٩٩٧.

زامينـا المربيـة (Um-me-da Za-me-na) وهـو اسم حـوري، ارتبـط اسـمها بالعنايـة وتربيـة أفـراد الأسـرة الحاكمـة كمـا هـو واضـح مـن خـلال النقـوش الظاهـرة فـي الأختـام العائـدة لهـا حيـث غالبـاً مـا تظهـر بنفـس ارتفـاع الأطفـال (الشـكل رقـم ٣)، وهـي مـن الشـخصيات المقربـة مـن الملكـة وكانـت لهـا امتيـازاتٌ وصلاحيـاتٌ داخـل القصـر وكانـت علـى علـمٍ بـكل التفاصيـل المتعلقـة بالقصـر فيمـا يخـصُّ أمـور الإدارة العائـدة للملكـة أوقنيتـوم[5].

5 Marilyn Kelly- Buccellati, 2016, p 57

الشكل رقم (٣) طبعة ختم للمربية زامينا تظهر فيها برفقة الملكة وابنها مع إحدى الوصيفات.

الصورة مأخوذة من مقالة منشورة لجورجيو ومارلين بوتشيلاتي ١٩٩٧.

كانت زامينا تشرف على تربية الأولاد وتلقنهم الثقافة الحورية[٦] كاللغة وغيرها، فيما كانت الطباخة تولي Tuli – وهو اسم يحمل معاني حورية أيضا - والتي حملت هي الأخرى أختاماً باسمها (الشكل رقم ٤) وهي من المقربات للملكة أوقنيتوم، كانت تشرف على أمور الوجبات ونوعيتها لغاية تتعلق بالاهتمام بالأطعمة التقليدية والعادات المتعلقة بآداب الطعام الحوري[٧]، وبالتالي المحافظة عليها وتقديمها لاسيما في الاحتفالات والمناسبات الدينية والسياسية.

6 Giorgio Buccellati, 2013, p 85

7 Giorgio Buccellati, 2013, p 85

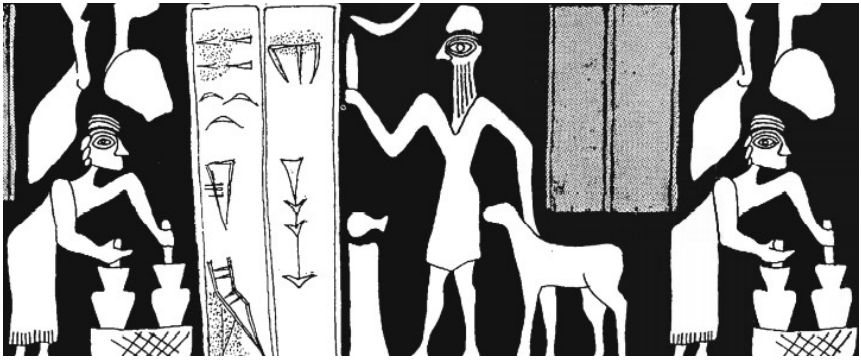

الشكل رقم (٤) طبعة ختم لرئيسة الطباخين تولي. الصورة مأخوذة من مقالة منشورة لجورجيو ومارلين بوتشيلاتي ٢٠٠١.

يوجد طبعة ختم يظهر فيها انتاج الحرف المتعلقة بالفخار (الشكل رقم ٥)، حيث تظهر فيها امرأة وهي تعمل على تصنيع نوع من الجرار الفخارية وهذا المشهد له دلالة اجتماعية واقتصادية ضمن المدينة وخارجها بالنسبة للمجتمع الأوركيشي، وقد وجدت نماذج من الفخاريات التي كانت تصنع في أختام عائدة للملكة أوقنيتوم. يعتقد ان الملكة أوقنيتوم كانت تشرف على الفنانين الذين كانوا مكلفين بصناعة أختامها، ويبدو أنها هي من كانت تقترح شكل الصور والوضعيات والنقوش (الكتابات) التي كانت تدون على الختم[٨].

8 Marilyn Kelly- Buccellati, 2010 b, p 191

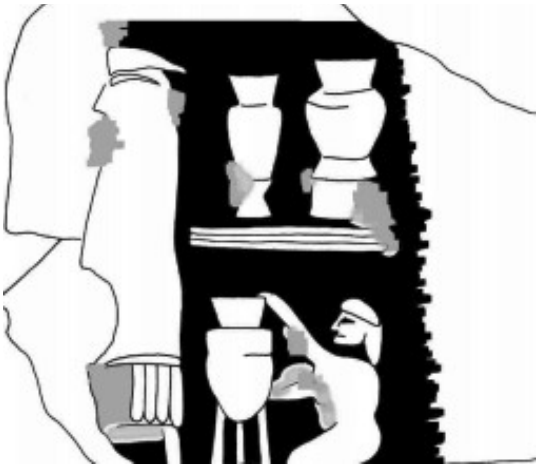

الشكل رقم (٥) طبعة ختم تظهر فيها إحدى النسوة وهي تصنع الفخار. الصورة مأخوذة من مقالة منشورة لجورجيو ومارلين بوتشيلاتي ٢٠١٥.

بدت أوقنيتوم مشابهة لباقي النسوة اللواتي كنّ يظهرن في أختامها من ناحية اللباس وإن كانت لباسها تختلف أحياناً، إلا أن الاختلاف كان واضحاً في ربط وطول الشعر (جدائل الشعر) التي كانت تتميز بها الملكة وبناتها عن باقي النسوة اللواتي كنّ يكتفون بربطة شعر عادية دارجة في تلك الفترة.

لا يوجد في أوركيش دلائل تشير إلى تعدد الزوجات كما أن الزوجة في أوركيش كان لها دور بارز على عكس أوغاريت مثلاً التي كانت الأولوية فيها لأم الملك[٩].

مشاهد الأختام تؤكد على الدور المضيء للمرأة داخل أوركيش وبالتالي تؤكد على أن المرأة الأوركيشية كانت مختلفة عن باقي النساء في جنوب بلاد الرافدين وغرب سوريا خلال الربع الأخير من الألف الثالث ق.م وحتى قبلها[١٠]، كما ان التنقيبات الأثرية التي أجريت في الموقع أظهرت

9 Pat McDonnel and Samie Twair, 1997, p 9

10 Marilyn Kelly- Buccellati, 2016, p 60

الدور المتنوع للمرأة الأوركيشية لاسيما الملكات منهن وكذلك تنوع المهن والحرف النسائية داخل القصر كما أن أوقنيتوم وحاشيتها كانوا يتمتعون بالسلطة والقوة داخل القصر.

الجدير بالذكر أن الأختام الأسطوانية في أوركيش (تل موزان) لعبت دوراً محورياً مهماً في تسليط الضوء على واقع المدينة وطبيعة شعبها ودورها واسهاماتها الحضارية في تاريخ الشرق القديم في ظلَ ندرة الكتابات والنصوص الحورية المكتشفة في أوركيش حتى هذه اللحظة.

قدمتْ لنا أختام أوركيش وطبعاتها المصنوعة من الطين والحجر، والعائدة إلى فترة الألف الثالث قبل الميلاد بأحجام يتراوح بين ارتفاع ٢-٣ سم وقطر ٢ سم، تفاصيلَ دقيقةً من خلال طرحها لمواضيع كثيرة تعلقت بطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأسرة الحاكمة والحاشية، وأيدولوجية السلالة الحاكمة وفكرة الخلافة والتعاقب على العرش، وطبيعة الاسماء والألقاب الملكية، والمصاهرات السياسية، كما طرحت الأختام مواضيع إدارية كثيرة أظهرت دور المرأة الرئيس في متابعة تلك الأمور ودورها في عملية الاشراف على البضائع وصرفها والتعاون مع أشخاص ينوبون عنها في المراقبة والتسجيل ومن بين تلك المواضيع الإدارية دور مطبخ القصر ونوعية الوجبات وكذلك أمور التربية والعناية بالأطفال.

عالجت الأختام كذلك الكثير من المواضيع ذات الصلة بالميثولوجيا الحورية والآلهة ورموزها ودور الكهنة وواجباتهم تجاه المعبد والمدينة، كما طرحت الأختام مواضيع اقتصادية كثيرة متعلقة بالإنتاج، بالإضافة إلى كل هذه المواضيع قدمت لنا الأختام مادة لغوية من خلال النقوش الكتابية القصيرة ذات الصيغة التعريفية للمشاهد المصورة كما قدمت لنا افكاراً عن نوعية اللباس والهدايا التي كانت تقدم للملك والملكة وللقصر في تلك الفترة.

قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق

جريمة اغتيال الصدر الأعظم مدحت باشا على يد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني

جريمة اغتيال الصدر الأعظم مدحت باشا
على يد
السلطان العثماني عبد الحميد الثاني

عن جريدة «كردستان» الأعداد (٢٢-٢٣-٢٤-٢٥) سنة ١٨٩٩

الترجمة عن الكردية: نواف بشّار عبد الله

في جريدته «كـــردستان» الصادرة باللغة الكردية والأبجدية العربية، نشرَ الأميرُ عبد الرحمن بدرخان بك تفاصيلَ جريمةِ اغتيالِ الصدر الأعظم للدولة العثمانية (رئيس الوزراء) مدحت باشا، الرجل العصامي الذي لم

يخضعُ لأهواءِ وأمزجة السلطان عبد الحميد. وفي افتتاحيات أربعة أعدادٍ متتاليةٍ منها (٢٢-٢٣-٢٤-٢٥) سلطَ الأميرُ المزيدَ من الضوءِ على هذه الجريمة التي ارتكبتْها الأيادي الآثمة للسلطان عبد الحميد بحقِّ رجل دولةٍ أفنى عمرَه في خدمة شعبهِ ووطنه. ونظراً لأهمية البحث، قمتُ بترجمته إلى اللغة العربية، آملُ أن أكون وفقت فيما ذهبتُ إليه. (المترجم)

في العدد ٢٢ من جريدة كردستان الصادر في ١ شوال ١٣١٧ هجري الموافق ٢ شباط ١٩٠٠م، وتحت عنوان (استطراد) حيث افتتاحية العدد، جاءَ ما يلي:

استطراد

منذ عدة شهورٍ، يسعى ابنُ الشهيد مدحت باشا (علي حيدر بك) الذي حُكم عليه بالنفي إلى إزمير ووُضعَ تحتَ الإقامة الجبريةِ فيها حيثُ عانى الكثيرَ من ظلم واستبداد السلطان العثماني، وبمساعدة دولٍ أخرى، تمكّنَ علي حيدر بك من الهروب والخروج من وطن السلطان إلى مصر حيثُ يعيشُ الآن ويعملُ دون هوادةٍ لخدمة وطنهِ، مطالباً السلطانَ عبد الحميد بدم أبيه الشهيد وتعويض عائلته المنكوبة. فقبْلَ عشرين عاماً، أقدمَ السلطانُ على نفي أبيه مع عددٍ من وزراءٍ آخرين إلى الطائف بولاية الحجاز ثمَ أرسلَ خلفهم عدداً من الجلادين خلسةً مهمتُهم قتلُ مدحت باشا، ذلك الرجل الشهم الغيور، إذ تمكّنَ رجالُ السلطان من خنقه في الفراش تحت جُنح الظلامِ وارتكابِ جريمة قتلٍ مخططةٍ بحق رجلٍ لم ينحنِ أمام مغرياتِ السلطان الذي بنى سعادتَه على شقاءِ وتعاسة شعبه.

اليوم، وليعرفَ الشعبُ أيَّ نوعٍ من البشر هو السلطان، يقومُ علي حيدر بك ابن ذلك الوزير بنشر وإعلان وقائع جريمة قتل أبيه بالتفصيل، ولكي يطّلعَ الكردُ أيضاً على تفاصيل هذه الجريمة الفجيعة، رأيتُ لزاماً عليَّ نشرَ ترجمة ذلك الكتاب في جريدتي، ومن الآن سوف أبدأ العمل،

ومـن الله التوفيـق...

يعلـمُ الجميـعُ أنـه قبـل ٢٥ عامـاً كان السـلطان عبـد العزيـز هـو سـلطانُ البـلاد، ونظـراً لأنـه كان مُسـرِفاً شـديدَ التبذيـر وسـفيهاً، غيـرَ مبـالٍ بحيـاة الشـعب والرعيـة، اتفـق وزراؤه مـع شـيخ إسـلام ذلـك الزمـان علـى عزلـه مـن صـدارة الحكـم، فأصـدرَ شـيخُ الإسـلام فتـوىً يقضـي بخلعـه عـن عـرش السـلطنة. كان عبـد العزيـز رجـلاً مغـروراً بعرشـه وتاجـه، حيـث لـم يكـنْ يخطـرُ لـه ببـالٍ قـطُّ أن يتجـرأ أحـدٌ علـى اتخـاذ خطـوةٍ مـن هـذا القبيـل، فعلـى الرغـم مـن أنّ بعـضَ أصحابـه ومحبيـه المقربيـنَ الصادقيـنَ معـه كانـوا يُنقِلـون إليـه نوايـا وزرائـه القاضيـة بخلعـهِ عـن صـدارة السـلطنة، إلا أنـه كان يسـتبعدُ حـدوثَ أمـرٍ مـن هـذا القبيـل، بـل ولـم يصـدق الأمـرَ إلا حينمـا أعـادَ الصـدرُ الأعظـمُ محمـد رشـدي خاتـمَ الصـدارة. لكـن، بعـد فـوات الأوان!

لشـدّة إسـراف السـلطان عبـد العزيـز، كانـتْ مجوهـراتُ الخزينـة فـي عهـده تُبـاعُ علنـاً فـي الأسـواق. وعـدا عـن سـفاهتهِ وتخريبـهِ المنظَّـم للشـعب وتبذيـر ممتلكاتـه، كان هنـاك أيضـاً بعـضُ وزرائـه مـن أمثـال محمـود نديـم ومحمـود جـلال الديـن وغيرهمـا ممـن كانـوا يدوسـون علـى الشـعب لقـاء تأميـن مصالحهم ومنافعهـم الشـخصية لتزيـدَ مـن تضييـق الخنـاقِ علـى الشـعب واقترابـهِ مـن التهلكـة، فلـم يكـن هنـاك حـلٌّ سـوى الإقـدام علـى خلعـه مـن السـلطة...لكن مـا يؤسَـفُ لـه أن يرحـلَ عبـد العزيـز ويحـلَّ محلـه عبـد الحميـد!

عـدا عـن قيـام السـلطان عبـد العزيـز بسـوءِ اسـتعمال خزينـة الدولـة وهـدر المـالِ العـام إضافـةً إلـى أفعالـه السـيئة الأخـرى، كان يقـومُ بإفسـاد أخـلاقِ الشـعبِ بحيـثُ مـن الصعوبـة أن يتـمّ إصلاحُهـا بمائـة أو مائتـي سـنةٍ قادمـةٍ!

تولّـدتْ مصيبـةُ صعـودِ عبـد الحميـد عـرشَ السـلطنة مـن مـرضِ السـلطان مـراد. كان مـراد سـلطاناً عـادلاً، وحينمـا اعتلـى عـرشَ السـلطنة، طلـبَ إلـى جانبـه عـدداً مـن الرجـال الأكفّـاء الطيبيـن مـن أصحـاب الأخـلاقِ والضميـرِ

لتشكيل طاقمِ حكمهِ من أمثالِ ضياء باشا وكمال بك وغيرهما ممن يوثَق بهم، لكن لشديد الأسف وبعد جلوسه بـ(٥-٦) أيام فقط، وبسبب سوء معاملة سلفه معه وخوفه من الشعب تغيرتْ أحوالُه وساءتْ أوضاعُه النفسية كثيراً، وصل إلى درجةِ بقاءِ مدحت باشا إلى جانبه في القصر ثلاثة أيام بلياليها لتسليته ورعايته.

بعدَ صعودِه عرشَ السلطنة بـ (٤-٥) أيامٍ فقط، فجأةً ازدادتْ وتيرةُ المرض الذي أصابَ دماغَ السلطان، فعمدَ مدحت باشا ورشدي، وتحاشياً لأية مظاهرَ قد تسيءُ إلى السلطنة إلى إخفاءِ حالةِ السلطان عن الناس وقاما بتداويهِ على يد الطبيب ل.ديسترويف.ج وفريقِه الطبيِّ حيث كان يقومُ مدحت باشا كلَّ يومٍ باصطحابه إلى شاطئ البحر للتنزّه بغيةَ التخفيفِ عنه وفقاً لقرار الطبيب المعالج.

كردستان

١٣١٥

KURDISTAN

Adresse: Boite spéciale N° 670 CAIRE (Egypte)

روژ پنجشنبه فی ١ شوال سنه ١٣١٧ فی ٢٠ كانون ثانی سنة ١٣١٥

لـم يكـن السـلطانُ مـراد مجنونـاً بالكامـل، لكـن مـن شـدّة دهشـته كانـت الدمـاء تتدفـق بشـدةٍ وتهاجـمُ دماغـه بغـزارة وتسـببُ لـه آلامـاً مبرحـة وخلـلاً فـي العقـل، لـذا كان الطبيـبُ يقـول إذا مـا تمّـت مداواتُـه بالتنـزّهِ لعـدة شـهورٍ، فإنـه سـوف يتعافـى تمامـاً ويعـودُ إلـى وضعـه الطبيعـي، وحقيقـة الأمـر كانـت كذلـك.

عندمـا سـافرَ السـلطانُ مـراد مـرةً مـع أخيـه السـلطان عبـد العزيـز إلـى أوربـا حيـث اسـتقبلهم نابليـون ملـكُ فرنسـا الـذي أبـدى شـديدَ إعجابـه بعقـل وذكاء السـلطان مـراد، ولأنـه كان وليـاً للعهـد، فتركـت مقولـة نابليـون أثـراً فـي غايـة السـوء وزرعـت حقـداً اسـوداً فـي نفـس عبـد العزيـز، وغـزت الغيـرة قلبَـه وبـاتَ يكـرهُ أخـاهُ وينظـرُ إليـه بـازدراءٍ واسـتخفافٍ ويتحـدثُ إليـه بنبـرةٍ غاضبـة علـى الـدوام، تركـتْ هـذه المعاملـة السـيئة مـن أخيـه السـلطان أثـراً سـلبياً علـى نفسـيته التـي تعرضـتْ للضغـط والتحقيـر المسـتمرين.

حينمـا كان مدحـت باشـا ومحمـد رشـدي منهمكَيْـن بمـداواة واسـتطباب السـلطان مـراد، علِـمَ عبدالحميـدُ بالأمـر، ونظـراً لكونـه صاحـبَ الـدور فـي السـلطنة تلـك التـي كان مهووسـاً بهـا، بـدأ عبـد الحميـد وعلـى الفـور بالفسـاد وكيـد مختلـف الدسـائس لصعـود كرسـي السـلطنة، ومنـذ ذلـك اليـوم، بـدأت الفتنـة ومحنـة الشـعب تظهـر للوجـود. فمنـذُ صِغـرهِ كان عبـد الحميـد يقـومُ بنقـل المعلومـات بيـن السـراي وبيـن إخوتـه ويتجسـسُ عليهـم، فعندمـا كان يقـومُ مدحـت باشـا بإجـراءاتِ عـزل السـلطان مـراد (بـل السـلطان عبـد العزيـز- المترجـم) كان يقـوم بنقـل الأخبـار إلـى السـلطان عبـد العزيـز. عـدا عـن هـذا وذاك، ونظـراً لاسـتقلالية قـرارِ مدحـت باشـا ورشـدي باشـا، كان عبـد الحميـد يكرهُهُمـا كرهـاً شـديداً.

لـدى سـماع عبـد الحميـد خبـرَ مـرضِ أخيـه، قـامَ باسـتدعاءِ محمـود ورديـف باشـا، ولأنـه كان يعـرف بأنهمـا شـخصان دنيئـا النفـس وأنانيـان همُّهمـا الأولُ

هو البحثُ عن مصالحهما ومنافعهما الشخصية، طلبَ منهما المساعدة في استلام السلطة لقاءَ تنصيب أحدهما منصب الصدر الأعظم للسلطنة والآخر مستشاراً في المركز إذا تمَّ التوفيق في استلام السلطنة، ودون خجلٍ أو حياءٍ، وافقا على الصفقة.

****

وفي العدد ٢٣ الصادر في ٢٣ شوال ١٣١٧ هجري الموافق ٢٣ شباط ١٩٠٠م تابعَ الأمير عبد الرحمن بدرخان وقائعَ اغتيال الصدر الأعظم حيث جاء في افتتاحية العدد:

واقعة مدحت باشا

تتمة

كان محمود باشا وردیف باشا يعلمان جيداً بأن أمر إجلاس السلطان عبد الحميد سوف يستغرق وقتاً وهو ليس بالأمر اليسير، لذا بدايةً وقبل كل شيءٍ أعلنا «جنون» السلطان مراد على الملأ، ومن باب التحريض أيضاً قالا بأن الحكومة باتتْ في أيدي مدحت باشا ورشدي باشا! وقد أيدت الظروفُ الصحية التي كان يمرُّ بها السلطان مراد هذه الإشاعاتِ التي انتشرت بسرعة، لأنه لم يكن يستطيع إقامة صلاة الجمعة في المسجد ولم يظهر أمام الناس لتفنيد تلك المزاعم، فحدث لغطٌ بين الناس حول جنون السلطان من عافيته! وبدأوا يشتكون متذمرين من الوضع قائلين: «إذا نحن بدون سلطان أعلمونا، وإذا مصيرنا باتت بيدي مدحت ورشدي باشا، أعلمونا أيضاً كي نعرف كيف نتصرف»!

لكن، لاحظَ عبد الحميد أن شكوى الناس هذه قد خفت وتلاشت في زمنٍ قصيرٍ دون جدوى، فسارع إلى إجراء لقاءٍ مع السفير الروسي آغناتيف وشرح له الوضعَ الصحيَّ لأخيه السلطان مراد بدقة، حيث وجد السفير الروسي فرصةً ذهبية لفرض مصالح دولته على السلطنة، وتحدثَ عن

الظلم الذي يجري في بلغاريا، وبدأ الحرب. اتصل آغناتيف مع سفراء الدول الأخرى ومنهم السفير الإنكليزي سير هانري ليارد الذي كان يدركُ النوايا الروسية ومغزى تحرك سفيرها على هذا الخط، فلم يُعرْ طلبه أيّ اهتمام.

بعد المشاورات مع السفراء، عادَ آغناتيف مرةً أخرى لاستشارة السلطان عبد الحميد لوضع الخطط اللازمة، متحركاً بعدها حسب التعليمات التي استقاها من السلطان، فذهبَ إلى الباب العالي طالباً تسليم أوراق اعتماده إلى السلطان رسمياً، حيث أبدى رغبته بلقاء السلطان لمناقشة المظالم التي تُرتكب في بلغاريا! وبغية المزيد من الإحراج لمدحت باشا ورشدي باشا وفريقهم الطبي المعالج، ولأن السلطان عبد الحميد كان يعلمُ جيداً أن السلطانَ مراد لا يستطيعُ استقبالَ السفراء، أشارَ عبد الحميد إلى السفير آغناتيف اللجوء إلى هذا الأمر. عدا عن السفير الإنكليزي سير هانري ليارد، اتفق جميعُ السفراء مع خطة عمل آغناتيف، هذه الخطة التي وضعت مدحت باشا ورشدي باشا في حيرةٍ من أمرهما. وبعد أيام قليلةٍ، فوجئ مدحت باشا بزيارة محمود ورديف إليه، وعرضا عليه الأمرَ بوضوح وشفافيةٍ على الشكل التالي: «أنتم مَن عرّفتمونا على مسألة الخلع، واليوم كل السفراء باتوا يعلمون أن سلطان بلادنا مجنونٌ، وأنتم تعلمون أن سلطة شخصٍ مجنونٍ غيرُ جائزة لا عقلاً ولا شرعاً. وإنْ كنتم لا تريدون مساعدتنا في تنصيب عبد الحميد سلطاناً، فإننا سوف نطلبُ مساعدة سفراء العالم في ذلك وسنلجأ أليهم.»

أدهشَ حديثُ الرجلين مدحت باشا، فقرر الذهاب إلى السلطان عبد الحميد في ذلك اليوم على الفور واجتمع معه في مزرعته بـ(موسلو).

دخلَ عليه كلٌ من مدحت باشا ورشدي باشا في مزرعته، وعرضا عليه تفاصيلَ مرض أخيه السلطان الآيل للشفاء، وقد رجاهُ مدحت باشا أن

يصعدَ عرشَ السلطنة وكالةً ريثما يتعافى السلطان مراد من مرضه، إلا أنّ السلطان عبد الحميد قد رفضَ المقترحَ بشدةٍ. عرض مدحت باشا مقترحاً آخر وهو الموافقة على الاستلام أصالةً ولكن بشروطٍ محددة وموثقة، وهي: عنما يتعافى السلطانُ من مرضه يتخلى عبد الحميد عن السطنة وتُعادُ إليه، وأن يقبلَ بالقانون الأساسي المعمول به حالياً دون تغيير، وألا يخرجَ عن رأي الوكلاء والمستشارين في اتخاذ القرارات، وأن يقبلَ بـ ضياء باشا وكمال بك كمستشاريْن يعملان في القصر.

لم يسفرْ عبد الحميد عن حقيقة أفكاره ونواياه المخبأة داخله، فوافقَ على تلك الشروط، وبناءً على طلب مدحت باشا، وقّعَ عبد الحميد على سندٍ سلطاني رسمي يقضي بقبوله تلك الشروط. بهذه الصورة، تمَّ خلعُ السلطان مراد الخامس وبيعة عبد الحميد بدلاً عنه.

بعد جلوسه على عرش السلطنة، سادَ جوٌّ من الحزن والكآبة عموم الشعب كما تشاءمَ الوكلاءُ من مستقبل الوطن والبلاد. بعد البيعة، انتظرَ ضياء باشا وكمال بك قرار السلطان بدعوتهما إلى القصر لممارسة عملهما الاستشاري وفق السند الذي وقّعه وسلمه لمدحت باشا وأقسمَ على الالتزام بكامل الشروط، لكن، بعد إجراء عملية البيعة حيث وجد عبد الحميد نفسه سلطاناً لم يُعِرْ وعوده وعهوده أي اهتمامٍ وتنصّلَ منها جميعاً، فلم يطلبْ ضياء باشا وكمال بك إلى القصر للعمل كمستشارين، بل طلبَ بدلاً عنهما سعيد باشا ووضعه في ذلك الموقع.

هذه المعاملة السيئة ونكثُ العهد الصادر عن عبد الحميد تركَ دهشةً كبيرة لدى مدحت باشا ورشدي باشا بل ولدى عموم الناس، لأنه أثبتَ منذ اليوم الأول لحُكمه أنه خائنٌ للعَهد والقَسَم الذي أقسمه أمام مدحت باشا وتنصّله من المشروطية التي وقّعَ عليها. بعد عدةِ أيامٍ، اجتمع كلُ الوكلاء في منزل محمود باشا، وتبيّن لمدحت باشا أن عبدالحميدَ قد تمكن من

إفسادهم وشراء ضمائرهم، لذلك قرروا إلغاء المشروطية في الإدارة قائلين إن بعضَ الإصلاحات كفيلةٌ بإسكات السفراء على حدِّ زعمهم! عندما رأى مدحت باشا كلَّ هؤلاء الوزراء اللاهثين خلف منافعهم ومصالحهم الذاتية يقومون بتنفيذ أوامر السلطان برفض المشروطية في الحكم، غضبَ غضباً شديداً، وأثبتَ للحضور في مداخلته أن أية تعديلاتٍ أو تنظيمٍ يوصون بها، هي زائلة في ظلِّ استبداد عبد الحميد، لذا، طلب استقالته وخرجَ من المجلس غاضباً يائساً.

حينما دخلَ مدحت باشا إلى السلطان لتقديم استقالته، ولأنَّ السلطانَ كان على درايةٍ بمجريات الاجتماع، فاجأهُ السلطانُ بطلب نسخٍ من القانون الأساسي لإعلانه، عندها، تأملَ مدحت باشا خيراً، لكن في حقيقة الأمر أن السلطان كان يخشى غضبَ الشعب وعصيانه فأعلنَ القانون الأساسي. وبإعلانه، استبشر السفراء خيراً إلا أن السفير آغناتيف ولمصلحة بلاده ولمصلحة إدارة السلطنة، طلبَ نفيَ وإعدامَ مدحت باشا! لأنه كان يعلمُ بأنّ مدحت باشا هو مَن يقومُ بإبطال مفاعيل فساده وألاعيبه بحق السلطنة وشعبها.

في بداية حكمه، ولأنه لم يكن قد أخضعَ كلَّ الوزراء لسيطرته، وبسبب الأقاويل التي كان الشعبُ يتداولُها والتي أصبحت موضعَ جدلٍ، حيث كانوا يقولون ممتعضين أن عبد الحميد قد أُجلِسَ على العرش بهمةِ وقوةِ آغناتيف، وكان عبد الحميد على درايةٍ بهذه الشائعات، فيخشى غلياناً شعبياً تطيحُ به وبعرشه.

لكن، حينما تمَّ إعلانُ القانون الأساسي من قبل السلطان عبد الحميد، عمّت الفرحة عمومَ البلاد، لأن الشعبَ كان يعلمُ بأن أرواحَ أبنائه وممتلكاتهم ستبقى آمنةً محفوظة بقوة هذا القانون. أما حكومة روسيا، على العكس من مصالح الشعب فكانت قلقةً ومتكدرة من وجود المشروطية في إدارتنا

(أي السلطنة)، لأنها كانت تعلمُ أن دولتنا تكتسبُ القوة والمنَعة بالمشروطية، لذلك قامتْ بتوجيه إنذارٍ شديد اللهجة لحكومتنا لأجل إلغاء المشروطية. حظيت مطالباتُ روسيا في المجلس العمومي الذي كان يترأسه مدحت باشا بالرفض، وبغية الإساءة إليه، أعلن عبد الحميد أنّ مدحت باشا يدعو إلى حربٍ مع روسيا، ولأنه كان يدري أن غائلة الحرب تكفي لإشغال الشعب، ومن خلالها، سعى إلى تعطيل المجلس بناءً على رغبة آغاتيف. تعطيلُ المجلس يستدعي أولاً وقبل كل شيءٍ نفيَ مدحت باشا خارج البلاد. وقد ساعدَ كلٌ من محمود ورديف وسعيد باشا في تحقيق هذا الهدف جرياً وراء مصالحهم ومنافعهم الشخصية، حيث كانوا لا يرغبون بوجودِ مدحت باشا، لذا عمدوا بكل ما أوتوا من قوة على تزوير الحقائق وخلق الأكاذيب لتمرير مخططاتهم ومنها استغلال موضوع القوائم.

****

وفي العدد ٢٤ الصادر في ٦ جمادى الأولى ١٣١٨ هجري الموافق ٢٧آب ١٩٠٠م، تابعت صحيفة كردستان ملف مدحت باشا وجاء في افتتاحية العدد:

واقعة مدحت باشا

تتمة

رفضَ عبد الحميدُ استلامَ مخصصاتِه الماليةِ عن طريق جداولَ نظاميةٍ، مما أثارَ حفيظة الوزير مدحت باشا الذي كان يقول: إذا لم يولِ السلطانُ الاعتبارَ للجداول فإنّ ذلك يُعَدُّ أمراً في غاية السوء والخطورة، لذا وحفاظاً على المال العام كان يصرُّ على ضرورة استلامِه مخصصاته وفق الجداول النظامية، في حين كان اللصُ ناظر المالية غالب باشا يتجاوزُ تعليماتِ مدحت باشا ويقومُ بإرسال مخصصاتِ السلطان إليه دون جداول وبالذهب. سمعَ مدحت باشا بهذا التجاوز من جانب ناظر المالية فذهبَ

إلى المركز وقابلَ السلطان مطالباً بعزلِ غالب باشا وإعادة المخصصاتِ المرسلة إليه بصورةٍ غير قانونية إلى الخزينة العامة، إلا أن طلبَ مدحت باشا هذا قوبلَ بالرفض القاطع من جانب السلطان! غادرَ الصدرُ الأعظم المركز قاصداً بيته مستقيلاً حيث مكث فيه أسبوعاً دون أن يخرجَ، وفي تلك الفترة أرسل إليه السلطانُ مراتٍ عديدة أمرَ الالتحاق بعمله، إلا أنّ مدحت باشا كان يرفض أمره بشكلٍ قاطعٍ.

وبعد يومين، أعلمَهُ السلطانُ أنه وافقَ على مطالبه، وليذهبْ إلى المركز لمتابعة أعماله، فصدقَ مدحت باشا الخبرَ وذهبَ إلى المركز ليجدَ نفسه قد وقعَ في شِركٍ نصبه له السلطانُ، فعندما دخل عليه أحد الحراس في المركز يطلب منه تسليمَ خاتم الصدارة! حينئذٍ علمَ بأن هناك خَطباً مدبراً. وبعد ساعتين، تمَّ نقلُه إلى المرفأ وتسفيرُه من استانبول على متن باخرةٍ.

كان السلطانُ يخشى نفيَ مدحت باشا لِما كان يتمتعُ بها من شعبية ومكانةٍ واحترامٍ لدى الجميع، لذا، قامَ بتنفيذ فِعلتهِ هذه بمزيدٍ من العناية وفي ظروف السرية التامة، لكن عندما وجدَ السلطانُ أن الشعبَ صامتٌ وغافلُ عن دسائسه، شعرَ بالسعادة وأمرَ بنفي مدحت باشا إلى بريطانيا.

في منفاهُ بأوربا أيضاً، كان مدحت باشا يحظى باحترام الناس مما كان يزيدُ من مخاوف السلطان وحنقه عليه. وبغية كسبِ رضاه وشراءِ سكوته، أرسلَ إليه السلطانُ مبلغاً من المال إلا أنه رفضَ استلامَه محافظاً على أنفته وعزة نفسه، وقد زادتْ مثلُ هذه المواقفِ من سُخط السلطان وغضبه عليه حتى أنه لم يتمالكْ نفسَه من سلوك مدحت باشا فقام بطلبه مجدداً، وبعد استجابة مدحت باشا للقائه، قام السلطانُ بإرساله إلى جزيرة كريت اليونانية. هناك أيضاً، عملَ مدحت باشا لأجل سعادة شعبه وبلاده بإخلاصٍ وتفانٍ، فحازَ على احترام ومحبة الناسِ هناك مسلمين ومسيحيين، وكسبَ الكثيرَ من الأصدقاء.

بعدَ شهرين، استلمَ مدحت باشا برقيةً من السلطان يُعلمُه فيها بأنه تمَّ تعيينُه صدراً أعظم للسلطنة، لكن بعد ساعتين، استلمَ برقية أخرى يُعلمُه فيها بأنه تمَّ تعيينُه والياً للشام، فسافرَ مدحت باشا إلى الشام لاستلام مهمته الجديدة هناك.

****

وفي العدد ٢٥ الصادر في ٦ جمادى الآخرة ١٣١٨ هجري الموافق تشرين الأول ١٩٠٠م حيث الحلقة الأخيرة من الملف، جاءت الافتتاحية كما يلي:

واقعة مدحت باشا

تتمة

بفضلِ غيرتهِ وطيبتهِ، تمكّنَ مدحت باشا من كسبِ ودِّ الناس واحترامهم في الشام أيضاً مما زاد من قلق السلطان وارتيابه، وأملاً بالخلاصِ من هذا الكابوس الذي يقضُّ مضجعَه، وعن طريق عملائه، قام السلطان بتسميمه مرتين، لكن مدحت باشا قد نجا منهما. لم يعدِ السلطانُ يحتملُ وجودَه في الشام، فأمرَ بتعيينه في إزمير. بعد انتقاله لمكان عمله الجديد في إزمير عدة شهورٍ وبهدف التخلّصِ منه نهائياً، أرسلَ السلطان حلمي باشا مع عددٍ من الجنود والحراس إلى إزمير لتصفيته جسدياً وقتلِ زوجته وأولاده!

في المحصلة، في الساعة السادسة من مساء أحد الأيام قامَ حلمي باشا مع عساكره بتطويقِ دارهِ، لكنّ تمكّنَ مدحت باشا من الهرب عبرَ مخرجٍ خلفَ الدار ملتجئاً إلى القنصلية الفرنسية. حينما علمَ حلمي باشا بأنه ليس في الدار، أمرَ العسكرَ باقتحامِ المنزل شاهراً سيفَهُ في وجهِ زوجةِ مدحت باشا التي لم تخشَ سيفَه بل قامت بتوبيخه وتحقيره بكلامٍ جارحٍ، وبقي المنزل مسرحاً للحركة طيلة الليل كيوم القيامة.

عندما علمتِ الحكومة أنّ مدحت باشا قد التجأ إلى قنصلية فرنسا، رجتْ

من السفارة تسليمَ مدحت باشا، وبعد إعطاء السلطان وعوداً طيبةً للسفارة، تمّ تسليمُ مدحت باشا لحكومة السلطان عبد الحميد. تمَّ احتجازُ مدحت باشا عدة أيامٍ في المخفر قبل إرساله مخفوراً إلى استانبول حيثُ دبّرَ لهُ السلطانُ مكيدة جديدة وهي اتهامُه بقتل السلطان عبد العزيز! فقام بتشكيل محكمةٍ صوريةٍ مزيفةٍ وأجرتْ محاكمتَه بعد تقديم شاهدَي زورٍ قبض كلٌّ منها من زبانية السلطان مبلغاً كبيراً من المال ١٠ آلاف ليرة ذهبية للإدلاء بشهادة كاذبة في المحكمة، وطمعاً بالمال، أقسما زوراً وكذباً أمام المحكمة بقولِ الحق! وبهذه الصورة، حكمت محكمة عبد الحميد المشكّلة من عددٍ من جواسيسه وأرذاله الكاذبين بالإعدام على مدحت باشا! وبعد إصدار الحكم بفترةٍ وجيزة أرسل السلطانُ خبراً إلى مدحت باشا يعلمُه فيه بأنه سوف يعفو عنه ويعيدُ تعيينَه صدراً أعظمَ للسلطنة فيما إذا قام بتقبيل يد السلطان وطلبَ العفوَ منه! إلا أنّ مدحت باشا لم يتنازلْ لتقبيل يدي سلطان دنيْ النفس، ورفضَ عرضَهُ مفضلاً الموت بشرفٍ عن الإذلال، لكن السلطان لم يتجرّأ على تنفيذ حكم الإعدام به في استانبول خائفاً من اضطراباتٍ قد تحدثُ بين صفوف الشعب وتؤثر على أركان حكمه، فقام بنفيهِ إلى الطائف بولاية الحجاز، وبقي مسجوناً فيها مدة سنةٍ كاملةٍ.

في تلك الفترة، كان هناك رئيس عشيرةٍ عربية اسمُهُ ابنُ الرشيد حيث كان من أصدقاء مدحت باشا منذُ أيامِ الشباب، ووفاءً لصديقهِ الطيب المسجون ظلماً، قام في أحد الأيام برفقةِ عددٍ من رجاله المسلحين باقتحام سجن القلعة التي كان مدحت باشا نزيلَه لتحرير صديقه من سجن القلعة، لكنه فوجئ بوجود عددٍ كبير من الجنودِ تفوق عددَ رجاله أعداداً مضاعفة، إلا أنه لمحَ مدحت باشا من نافذة السجن، فدعاهُ ابنُ الرشيد لإلقاءِ نفسه من النافذة لخلاصه، لكنه ولكونه كان يائساً من الحياة ولم تطاوعْه عزةُ نفسه، فلم ينفذْ طلبَ صديقه المُنجِدِ وبقي في زنزانته!

بثّتْ هذهِ الحركةُ الصادرةُ عن ابن الرشيد لتحرير مدحت باشا من السجن الرعبَ في أوصالِ السلطان، فبادرَ على الفور لعزلِ والي الحجاز صفوت باشا وتعيين عثمان باشا بدلاً عنه، وأمرَ الواليَ الجديدَ أمراً قطعياً بتصفية مدحت باشا جسدياً بأقصرِ وقتٍ ممكنٍ. وبأمر السلطان آنفِ الذكرِ ومساعدةِ قتَلةٍ مجرمين أرسلَهم السلطانُ من استانبول خصيصاً لهذه المهمة، أقدمَ الوالي عثمان باشا على قتل مدحت باشا في فراشه خنقاً!

خلاصةُ الأمر، بهذهِ الصورةِ المفجعة قتلَ عبد الحميدُ رجلاً نبيلاً خدمَ وطنه بتفانٍ وإخلاصٍ مما يجعلُ المرءَ في حيرةٍ من أمره، كيف يتنازلُ سلطانٌ إلى هذا الدرك الأسفل من الأخلاق!

رحمَ اللهُ ذلك الباشا، وندعو الله أن ينتقمَ من السلطان ويجازيه على جريمتهِ المشينة ويزيلَهُ بأقصى سرعةٍ عن صدر هذه الأمة وهذا الوطن كي يتخلّصَ كلُّ المسلمينَ من شرورهِ وآثامهِ.

من تاريخ الاعلام الكوردي

في ذكرى مرور ثلاث وثمانون سنة على تأسيس الاذاعة الكوردية في بغداد

في ذكرى مرور ثلاث وثمانون سنة على تأسيس الاذاعة الكوردية في بغداد

جمال برواري

قبل موعد الساعة الثامنة في مساء الأول من تموز عام ١٩٣٦ توجه البغداديون مسرعين للجلوس أمام راديوات المقاهي وبآذان مفعمة بالإصغاء وعيون تعتريها الدهشة والإعجاب لحظة سماع أول إعلان عن نبأ تأسيس دارٍ لإذاعة عراقية.

فأحتفل البغداديون بإحياء أمسية داخل المقاهي وهم يستمعون بشغف لأول بث إذاعي ابتدأ بتلاوةٍ من الذكر الحكيم، تلتها نشرة للأخبار ثم أغنية لأم كلثوم وانتهى بحفلة غنائية للمطربة سليمة مراد وعلى أنغام فرقتها الموسيقية بعد ثلاث سنوات من انطلاق بث إذاعة بغداد كان الجيل على موعد لميلاد مولود جديد من الإذاعة الأم وكان المولود القسم الكوردي في ٢٩/ ١/ ١٩٣٩، وهي أول إذاعة في تاريخ الكورد. حيث كان البث لمدة ربع ساعة يومياً. تطور وترعرع وكبر المولود وزادت مساحة البث وبعد بيان الحادي عشر من آذار (١٩٧٠) أصبح القسم الكوردي مديرية، سميت مديرية الإذاعة الكوردية.

كانت تفتتح الإذاعة الكوردية بصوت القبج وبتلاوةٍ من القرآن الكريم ومن ثم الحديث الديني ونشرة الأخبار الصباحية ثم البرامج المنوّعة والثقافية والفنية.

كان يبدأ البث عادةً في الساعة الخامسة والنصف صباحاً وحتى الثانية بعد منتصف الليل.

أول مذيع لنشرة الأخبار كان كامل أمين، وأول رئيس قسم للإذاعة الكوردية. تناوب عدد من الأدباء والشخصيات الكوردية رئاسة وإدارة القسم الكوردي ومديرية الإذاعة الكوردية أذكر منهم، الزعيم وحيد بامرني، الأستاذ المرحوم صادق بهاء الدين، الذي تولى رئاسة القسم بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، ثم تولى عبد الإله الحاج موسى إدارة مديرية الإذاعة الكوردية. ومن ثم شاكر منصور ومحمد جهاد حسن، ومحمد سليم سواري وكمال امين سمين.

وكان أشهر مذيعي الإذاعة الكوردية في بغداد:

كمال رؤوف محمد. عبد الله عباس. محمود المفتي. محمد صديق الامام. نهاية جلال. عبد الوهاب الطالباني. فخر الدين الدوسكي. محمد جهاد

حسن. سكفان عبد الحكيم. قمرية حسن. كميلة علي. هاشم علي مندى. ماجدة محمد علي. اسماعيل إبراهيم. مختار فائق. محمد أمين عثمان. حافظ مائي. تحسين احمد بك برواري. شيرين عباس مظفر ديركي. كريم بدل. اسماعيل كيلاني. سكينة منصور. بهاء الدين جلال. شعبان مزيري. هلات ئاميدي. نشتمان عمر. خوشكه نعمت. خليل إبراهيم. وغيرهم... مع الاعتذار للمذيعين الذين لم اذكر أسماءهم.

أما الأدباء والكتاب والمثقفون الذين شاركوا في إعداد وتقديم برامج الإذاعة، فهم: الدكتورة نسرين فخري. الدكتور عز الدين مصطفى رسول. الأستاذ صادق بهاء الدين. الدكتور معروف خزندار. الدكتور إحسان فؤاد. الدكتور بدرخان سندي. الدكتور عبد الرحمن معروف. الأستاذ معصوم مايي. محفوظ مايي. ريبوار مايي. مصطفى صالح كريم. محمو موكري. عبد القادر بريفكاني. عبد السلام بريفكاني. وغيرهم الذين لاتحضرني

أسماؤهم.

وأشهر برامج الإذاعة التي ظلت في الذاكرة فهي:

برنامج لسعادتكم، للإذاعي المعروف كمال رؤوف محمد. يوم من الأيام، للإذاعي المعروف كمال رؤوف محمد. مع المستمعين (هه مي ره نك - منوعات) من إعداد وتقديم كاتب هذه السطور، وكان من أشهر البرامج المباشرة مع المستمعين بواسطة التلفون ومازال صدى هذا البرنامج في ذاكرة المستمعين. مساء الخير من إعداد وتقديم محمد سليم سوادي وهدية نوري. لكل أغنية قصة من إعداد وتقديم مؤيد طيب وجعفر إبراهيم حاجي.

أنت وحظك، من إعداد وتقديم محمود المفتي. أبواب الحياة من إعداد وتقديم محمد جهاد حسن واسماعيل إبراهيم. شعر وموسيقى، من إعداد وتقديم عبد السلام بريفكاني. جولة في الريف الكوردي، من إعداد وتقديم حسين قاسم. إضافة إلى برامج للأطفال والبرامج الزراعية وبرامج المرأة وبرامج منوعة وثقافية أخرى.

كانت تنهال آلاف الرسائل للمشاركة في هذه البرامج. وكانت تحمل المئات من هذه الرسائل في طياتها صوراً وإشارات لمواصلة النضال في مواقع البيشمركة الأبطال إبّان ثورة أيلول وكولان.

في حين كانت أشهر البرامج والأحاديث الدينية التي كانت تقدم في الإذاعة، هي: الحديث الديني للشيخ عبد الحميد الأتروشي، والحديث الديني للشيخ أبو زيد مصطفى السندي. الحديث الديني للشيخ عمر ديبكه يي. برنامج الدين والحياة للشيخ محمد شوكت. الحديث الديني للشيخ شعبان كولي.

أما أشهر التمثيليات فقد كانت: تمثيلية «فتاح فال» للكاتب محمد أمين عثمان. خه جو وسيامند - للكاتب حافظ مايي. فضلاً عن مسلسلات

تاريخيـة ودينيـة واجتماعيـة.

أمـا أشـهر المخرجيـن كان المخـرج هاشـم علـي منـدي. وأحمـد محمـد علـي. وفرهـاد شـريف. وإبراهيـم سـلمان. وناصـر حسـن. وسـيروان أنـور. وبخشـان علـي. وبختيـار رؤوف وغيرهـم.

وكان أشـهر الفنانيـن: حسـن جـزرواي. محمـد عـارف جـزراوي. طاهـر توفيـق. علـي مـردان. نسـرين شـيروان. كاويـس آغـا. سـعيد آغـا. زيـان أحمـد (د. بلقيـس دوسـكي). شـمال صائـب. فـؤاد احمد. تحسـين طـه. أردوان زاخويي. ايـاز يوسـف. سـمير زاخويـي. عبـد الله زيريـن. اسـماعيل جمعـة. أحمـد زيبـاري. مريـم خـان. قـادر مـردان. كريـم كابـان. عبـد الله دلسـوز. رسـول كـه ردي. كمـال عقـراوي. محمـد قـدري. سـعيد سـناطي. عيسـى بـرواري. كـول بهـار. سـعدي علـي. قـادر احمـد. احمـد شـيخالي. خليـل عبـد الله.

فالإذاعـة الكورديـة صنعـت نجومـاً فـي سـماء الأغنيـة الكورديـة، لذلـك كان أطـول برنامـج مباشـر فـي الإذاعـة الكورديـة لمـدة سـت سـاعات بـث بشـكل متواصـل كان عندمـا تلقيـت خبـر وفـاة الفنـان الشـاب المتألـق المغنـي: ايـاز يوسـف.

هـذا وقـد توقـف البـث فـي الإذاعـة الكورديـة فـي بغـداد بعـد سـقوط نظـام البعـث البائـد، وحـل محلـه شـبكة الاعـلام العراقـي الـذي يبـث قسـم مـن برامجـه أيضـاً باللغـة الكورديـة حاليـاً.

أدب وفن

إلى هذا العالم .... عربون لعنة.
رواية (بوق) للروائي الليبي محمد الأصفر

إلى هذا العالم .... عربون لعنة*
رواية (بوق) للروائي الليبي محمد الأصفر

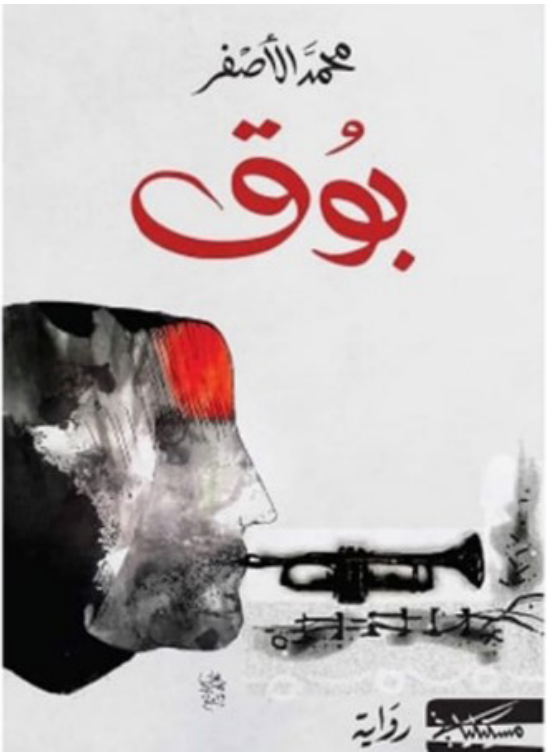

محمد دلي

كان الوقت صباحاً وقد رن جرس بيتي تكراراً، استقبلته بحفاوة، وضعَ بين يدي وليدته المسماة (بوق) قائلا: لقد وصلتْ توا!

كأبٍ جاء مبتهجا بلمِ شملِ ابنته بالسلامة، قادمة بعد طول انتظار من تونس، يمعن في ملامحها، يتلمسها، يحتضنها، يفرح بها مع أصدقائه ومنتظريها، طار فرحاً يتراقص في بردِ هذا الشتاء وصمتِه الكوروني، يحتفي بذاك الـ (بوق)، فيما نحن مكفهرون في بيوتنا، ننتظر فرحاً يكسر وجومَنا، يفِرج قليلاً عن أحزاننا ونحن أسرى الخوف من الفيروس اللعين، جاء ببوقه لتحفل بيوت القراء بالموسيقى الراقية نشيد الحياة الأجمل.

كتب على صفحتها الأولى:

وقتا طيباً مع هذه الرواية حيث الحب والحرب والسلام والموسيقى

صديقك محمد الأصفر - ٢٠٢١ /١/٧

«كتبتُ هذه الرواية عام ٢٠١٨م، لكنها كانت حاضرة في ذهني منذ عام ٢٠٠٣م عندما زرت صحبة صديقي "عوض الشاعري" المقبرة الألمانية في طبرق وهي مقبرة على شكل قلعة بها قبر جماعي وقد نُقشت على الجدران كل أسماء القتلى...»

نعم كان وقتاً طَيباً مع هذه الرواية التي قمت بقراءتها على ضجر من حال الإبداعات المكتوبة لكتابنا في هذا الزمن الفيسبوكي العَجول، المخلِف وراءه كتباً مستودعة، تعبَ عليها كتابها ومنقحوها ومراجعوها ومدققوها اللغويون وعَمل عليها المنضدون والعاملون في الطباعة والنشر والتوزيع، نقلوها لتُرسل بالبريد أو محمولة على الآلات أو بالآباط والأيادي، لتصل للقراء تُغذي روحهم وتغني حياتهم...

رغم صداقتي مع هذا المبدع لأكثر من سنتين نتشارك اهتمام الثقافة وحالة الغربة وهموم وأخبار الحرب اللعينة في وطنينا ليبيا وسوريا. لكنني لم أقرأ له إلا بعضاً من نتاجاته الكثيرة منها هذه الرواية مع بداية

السنة الجديد ة ٢٠٢١.

كنت أنتظر أن أقرأ ماذا يوجد في علبته (علبة السعادة)، فلم احظَ بها إلا مؤخراً، قرأتها وهي تنتهي باحتفال رأس السنة في مدينة كولونيا (كولن) الألمانية وكرنفال يشارك فيه بشر من مختلف الجنسيات وحدث «شجار كبير خرج عن السيطرة به ضرب حقيقي وصراخ جدي ودماء تسيل... ثمة خدعة قد حدثت... يبدو أنهم عصابة حقيقية اندست في العرض لتقوم بأعمالٍ تخريبية وإرهابية، ها هم خليطٌ هائج من شباب حليقي الرؤوس يرتدون ملابس غامقة... هاجموا جمع العازفين والراقصين من كل الجنسيات»، قبل أن اهديه شيئا، سلمني (دم على مئذنة) و (مخطوط بطرسبرغ١.

فاجأني ذلك اليوم مستهلاً العام الجديد ببوقه المعتق وقد أهداني إياه، لأضعه على منصة القراءة وأحتسي الخيال بعد الخيال سائراً بالقارئ من بون وبرلين إلى طبرق وريف ليبيا وناسها.

يقول الكاتب "محمد الأصفر" عن هذه الرواية: (كتبتُ هذه الرواية عام ٢٠١٨م، لكنها كانت حاضرة في ذهني منذ عام ٢٠٠٣م عندما زرت صحبة صديقي "عوض الشاعري" المقبرة الألمانية في طبرق وهي مقبرة على شكل قلعة بها قبر جماعي وقد نُقشت على الجدران كل أسماء القتلى).

ويضيف "الأصفر": (عندما جئت إلى ألمانيا ألحّت عليّ فكرة الكتابة عن الحرب والموسيقى والحب والسلام، الكتابة عن بتهوفن وسيمفونيته التاسعة، وأنشودة النصر لشيلر، وكثير من الأحداث التي دارت في ليبيا وألمانيا في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي).

أخذ بي هذا المبدع الكبير، في القراءة الأولى لهذه الرواية وهي واحدة من أكثر من ١٥ رواية صدرت له، لأن استعجل الاستمتاع في القراءة الثانية فقاد خيالي إلى ضفة نهر الراين، طالما كنت هناك، قبل الملعونة

كورونـا، اسـتمع ليـس فقـط لموسـيقى الطنبـور والزرنـا ولتراقـص الأشـجار معهـا هنـاك، فـي تنزهـات الأصدقـاء وجمعيـة رامـان الطلابيـة الكرديـة وغيرها ... بـتُ اسـتمع لبـوق ذلـك العاشـق الألمانـي مـع حبيبتـه وموسـيقاه وصداهـا يتـردد هنـاك بخيالـي فـي فضـاء المـكان والزمـان.

مضيـت بالقـراءة كطائـر انتشـى، يحـوم فـي سـماء حبيبيـن هنـاك: وضعـت كلارا رأسـها علـى فخـذِ حبيبهـا كارل مسـتمتعة بعزفـه الجميـل علـى بوقـه الـذي أصبـح جـزءا مـن جسـده، مقـرراً الا يفارقـه حتـى بعـد المـوت، يصبـح جنديـاً فـي الجيـش الألمانـي ولتقـع الحـرب العالميـة الثانيـة فيشـارك ضمـن الفرقـة الموسـيقية فـي الحـرب ضـد الحلفـاء فـي ليبيـا.

هكـذا يفتـرقُ الحبيبـان دون أن يتزوجـا وتفرقهمـا أحـداثُ الروايـة إلـى أن تصبـح فـي برليـن صديقـة لشـخص آخـر يـروي غريزتهـا الجنسـية بعـد انقطـاع أخبـار كارل، فيمـا يصبـح كارل فـي كهـف قديـم فـي ليبيـا بعـد خسـارة الجيـش الألمانـي فـي الحـرب أمـام الحلفـاء هنـاك وسـقوط أكثـر مـن سـتة آلاف قتيـلٍ هنـاك وتمضـي الأحـداث باسـتمتاع جميـل، تختلـط موسـيقى الطبيعـة بسـيمفونية بتهوفـن. يشـدّ الأصفـر الحكايـة مـن قلـب المعركـة، وتصيـر الموسـيقى سـيّدة الموقـف، ويتقـدّم السّـرد ويتأخّـر علـى إيقـاعٍ ضـاجّ تـارةً وسـاكنٍ تـارةً أخـرى، وئيـدٍ وسـريع. اسـتقرار اللغـة...

تقول ريم غنايم

(يشـدّ الأصفـر الحكايـة مـن قلـب المعركـة، وتصيـر الموسـيقى سـيّدة الموقـف، ويتقـدّم السّـرد ويتأخّـر علـى إيقـاعٍ ضـاجّ تـارةً وسـاكنٍ تـارةً أخـرى، وئيـدٍ وسـريع. اسـتقرار اللغـة، هدوؤهـا، ثبـاتُ الخيـال، بـلا تصنّـع، بـلا تكلّـف، دون تحميـل الأحـداث أكثـر ممّـا ينبغـي، ودون أن ينسـلخ جلـد الحـوار عـن عظـم سـرده.) وتضيـف: (فـي هـذا التحليـق الـذي يحـاول الأصفـر أن يأخذنـا عبـره متنقـلا بيـن مـدن ألمانيـة ومـدن ليبيّـة وباحثًـا عـن حلقـة الوصـل الإنسـانيّة

بين البشر بعيدا عن الحرب، وفي قلب أجوائها.)٣

يجول الكاتب بخيال القارئ في البيئة الليبية حيث الطبيعة والحياة الفطرية بلغة سلسة تمضي الرواية مع بطلها (كارل) وتنقذه غريزة البقاء متتبعا قطيع الجمال لتنقذه عشيرة ليبية (الحاج مفتاح) وتتبناه ساكنا في كهف ريفي قديم ذي اسم محلي، إلى حيث الطيبة والكرم والنخوة في الريف الليبي، ليعزف الموسيقى ويعلمها لأصدقائه الجدد.

يصبح هذا الألماني داوودا ليبيا، يتعلم اللهجة المحلية هناك ويعزف ببوقه السيمفونيات، لتعشقه الراعية الدرويشة ذات الصرخات والتي قضمت قطعة من انف شاب حاول الإيقاع بها، إنها نفس الراعية التي تصرّح لكارل: "أغنامي وعنزاتي سعيدات بعزفك وضروعهنّ بعد سماع الموسيقى تكاد تتفجّر من وفرة الحليب"٤. وتسير الأحداث لتصبح كلارا في طبرق بمهمة إنسانية تبحث عن مترجم وتصادف تاجرا يوصلها الى داوود الليبي في كهفه وهناك يتفاجآن ببعضهما ويعملان معا في فريق واحد لإقامة قبر جماعي يشمل جثث وأشلاء أكثر من ستة آلاف عسكري ألماني قتلوا في الحرب هناك، وتكون المقبرة بشكل بوق ضخم مفتوح الفوهة للأعلى، وفي صيد الغزلان يفلت داوود رضيعيَ غزال ربطهما أصدقاؤه، بعد الإمساك بهما بُعيد ولادتهما وليهرب لفعلته هذه من أصدقائه الصيادين باتجاه حقل ألغام خلفته الحرب، ينفجر به، ينتهي به المطاف عبر الفوهة السماوية مدفونا في تلك المقبرة البوق كجزء منه في حياته ومماته.

دعا إلى عمل لا يقوم به المنتصرون أو المنهزمون بالحرب عادة. بلاغة الصور البيانية والمشاعر تتوالى بين سطور الرواية يعزفها الكاتب بمهارة في هذا البوق، تجعل الأشلاء تجتمع والقتلى يتحدثون ويرون ويسمعون المحتفين بهم في مقبرتهم الجماعية وتحلق أرواحهم في الفضاء، تزور جماعياً أمهاتها في وطنها، ثم تعود إلى مرقدها المشترك في ليبيا وطنها

الأبدي الحزين، هكذا دعا إلى عمل لا يقوم به المنتصرون أو المنهزمون بالحرب عادة.

تتوالى تفاصيل الرواية موزعة على عناوين داخلية: ألماني قرب البئر ـ كلارا في طبرق ـ كهف كارل ـ الراعية ـ التاجر المتجول ـ ألغام ـ مفاجأة الترجمة ـ ساعي البريد الظريف ـ المقبرة الألمانية ـ العودة الى الكهف ـ تحت شجرة الخروب ـ بوق ونابين ـ كائنات المقبرة ـ موسيقى من جديد ـ رحلة صيد الغزال ـ لحن أخير لعيني كلارا.

لا يخلو فصل من فصول الرواية الا وكان هذا البوق هو مبتدأ الحكاية وخبرها

يقول Elkbiri Ahmed عن هذه الرواية (لا يخلو فصل من فصول الرواية الا وكان هذا البوق هو مبتدأ الحكاية وخبرها. على مستوى البناء، ستتطور الحكاية بسلاسة وبتقطيع ذكي، يصعب معه على أي قارئ، توقع أفق انتظاره منها... ويضيف: ويمكن أن نخلص، إلى أن الرواية، نوع من العرفان من الشعب الليبي، المتمثل في قبيلة الحاج مفتاح وأهله، للألمان ودولة ألمانيا والعلاقة الجيدة التي ربطت بينهما في الماضي والحاضر، نكاية في الانجليز والطليان. وقد يكون احتضان ألمانيا للاجئين العرب بسبب الحرب، ومنهم الليبيين، نوع من الاحساس بالدين، فكان رد الجميل من الكاتب، محمد الأصفر، المقيم هو الآخر بألمانيا، هذا البوق الموسيقي العظيم.)

هذه الرواية الرائعة تمزج في الخيال وتبني في النفس سمو الحب والسلام والموسيقى وتدين الحرب ومرتكبيها.

طرح الكاتب أسلوباً دراميا جديداً لعالم جديد، للعلاقة بين أناس أحياء وأموات، جمعتهم الحرب إلى آماكن فيها أناس بأوطانهم المعرضة للاحتلال، سيقوا إليها وباتوا جزءا منها ومن أهلها دون أن يتخلوا عن

أوطانهم. جمع علاقة المرأة بالرجل بين البيئتين الليبية والألمانية بمشترك الحب والموسيقى والموت.

نعم لقد أدان بعض الأبواق دون أن يوردها صريحة في أحداث هذه الرواية، الأبواق التي ينفخ فيها مسببو الكوارث والمآسي للأموات والأحياء، دعاة وفاعلي الحرب وتجارها وناشري الكراهية والعنف والتمييز والحقد.

سرٌ خفي يجذب القارئ ليقف أمام إشكالية دور الموسيقى في الحرب والسلم ومصير الناس بعد الحرب مقتولين وضحايا ومنتصرين.

ويقف مؤلف (بوق) ايضاً عند اشكالية الانتماء لوطن يدفع حكامه (الطغاة) الناس لمحارق الحرب في اوطان محتلة (ليبيا) فتقوم الضحايا بانقاذ (الجنود) الغرباء ـ المتحاربين فيقول على لسان العازف كارل: «لا أرغب في العودة إلى الديار، لقد وجدت نفسي هنا، القوم الذين أنقذوني من الموت ارتبطت بهم جدا، يمكنك القول إن ولائي للمكان تجاوز ولائي للدم، المكان منحني دما إنسانيا جديدا، وبالمناسبة لدي دماء كثيرة في هذا الوطن أفارقها، دماء شربها هذا الطين، سأبقى هنا حالياً، هؤلاء القوم يحبون موسيقاي ويتأثرون بها ويتفاعلون معها بقلوبهم وأرواحهم، لقد عزفت كثيرا للحرب، وحان الوقت لأكفر عن ذنوبي وأعزف للسلام، بوقي يؤنبني كثيرا، ويقول لي: لا فرق بين أصابع تضغط على الزناد لتقتل، وأصابع تضغط على أزرار نغم لتجعل جماعات من البشر تندفع نحو القتل، وآه من فمي الذي ما عاد يتركني أغني قبل أن أنظف جرحي من لعاب الألم، وآه من فمي الذي ما عاد يتركني أبتسم أو أضحك أو أبتهج».

تقول رشا حسني في مقال لها عن هذه الرواية في صحيفة القاهرة تحت عنوان: الروائي محمد الأصفر يواصل إنعاش الذاكرة الوطنية: «بوق». عزف على جدار الروح «وكما بدأت الرواية بصوت البوق

مستغيثا انتهت بصوته مودعا صاحبه بنغمات صاغتها الراعية من روحها... موسيقا كأنها بشر متداخلين في بعضهم البعض، موسيقى كأنها حضن نغم فسيح، موسيقا تشتعل في الذاكرة ولا تتبدد في العدم.»

*****

اسم الرواية: بوق

الكاتب: محمد الأصفر

إصدار مسكيلياني للنشر والتوزيع ـ تونس العاصمة ٢٠٢٠

عدد الصفحات: ١٧٣ صفحة من القطع المتوسط

خط الغلاف: الفنان سمير بن قويعة

لوحة الغلاف: الرسام الليبي عدنان معيتيق

تصميم الغلاف: الشاعر محمد النبهان

الناشر: مسكيلياني للنشر والتوزيع ـ تونس العاصمة ـ الطبعة الأولى ٢٠٢٠

الهوامش

***إلى هذا العالم.... عربون لعنة: نص الإهداء في هذه الرواية**

١- دم على مئذنة ومخطوطة بطرسبرغ: عنوانا روايتين للكاتب الكردي جان دوست

٢- مقتطف من موقع عصير الكتب

٣- من موقع طيب

٤- رواية البوق صفحة ٣٧

٥- Elkbiri Ahmed

٦- رشى حسني

قصة

سبعُ دقائق... رحيل إلى بلاد الأحلام

قصص قصيرة جداً

سبعُ دقائق... رحيل إلى بلاد الأحلام

لوحة للفنانة التشكيلية شيرين مصطفى

نتالي عمر

جموعٌ منَ الأجسادِ تخترقُ الدّخّانَ والرّماد، عواميدُ البيوتِ تستنشقُ رائحةَ الاحتراق، والسّواد يصبح عالماً من الجمودِ المختلطِ بالظّلام. زحفٌ وراءَ الأفقِ يمتدُّ من بعيدٍ، ينظرُ بزمجرةٍ منطفئةٍ وراءَ شهيقٍ وزفرةٍ منفعلةٍ، لا يعرفُ الطّريقَ نحوَ التّرابِ الّذي حمى أجدادنا بأوراقٍ من ذهبٍ.

مصيرٌ محتومٌ يهدّدُ رونقَ الصّوتِ المنبعثِ من فسيفساءِ الوجوهِ، وصرير الطّائرات يوقدُ شعلةَ اللّهب الّذي مازالَ يملأ الأفقَ دخّاناً وضباباً منقطع النّظير. لقاءٌ طالَ انتظاره سنواتٍ عديدةٍ... أصواتُ العصافير تملأ الصّباح بالبخور... ليبدأ بالنّظر إلى المرآة ولسان حالهِ يقول هل أنا جميل؟ ... هل ستُعجبُ بي؟ ... رائحةُ القهوة تفوحُ المكان بالحنينِ والذّكريات نحو أزقّة الحارةِ القديمة وصياحِ الأولاد.

نشوةُ اللّقاءِ لا تفوقها نشوةٌ، بانتظارِ الحبّ الضّائع وسطَ الرّكامِ. دروعُ الجسدِ الملتوّي في فضاءٍ مضمحلٍّ تناشدُ قوّة صوتِ الآذانِ في المساجدِ ورنين أجراس الكنائس. جميلةٌ هي بشعرها الغجريّ المتماوج بين سحرِ المقلِ، بنيّة اللّونِ المشتاقةِ لحنين مسترسل فيّ روحٍ بريئةٍ منطفئةِ الشعلةِ.

كان ينتظرها منذُ خمسين سنةٍ وروحهُ مشتاقةٌ إليها، تزور قبرها. في كلّ مرّةٍ ينظر للمرآةِ سبعُ دقائق ويذهبُ إليها ويمسكُ يداها بخوفٍ، لقد بقيتُ وحيداً أنتظر لقائي بكِ. طال الانتظار وأصابَ الجسد بالأسقام ليبقَ ذكرى جسدٍ تسكنهُ روحٌ شابةٌ تنظر للقاءٍ مشتعلٍ في الأفئدةِ المتراقصةِ على نغماتِ لهيب الحبّ وصدقِ العاطفةِ كلمعان الشّهبِ في السّماءِ، بقي ساكناً في غرفةٍ مربّعةٍ يتأمّلُ سقفها المهترئ، يشربُ قهوته ببطء ويداه ترتجفان، يرتشفها بصوتٍ غريب، جالساً على سجّادةٍ مزركشةٍ بالورود، متّكئاً على وسادةٍ قرمزيّةٍ وعيناه عالقتان بالسّقفِ، ولسان حاله يقول: أنا

مثلك أيّها البيت العتيق، أصبحت هرماً خائفاً من القبورِ وبردِ التّرابِ الرّطبِ.

نزل الدّرج متّكئاً على عكّازته المهترئة بكلِّ روّية، ينظر إلى حذائه المغبّر، وعيناه الغائرتان تشعّ بالحنين والحبّ. جلسَ على الكرسيّ الخشبيّ عند فسحة باب البيتِ يتأمّل الشجرةَ المنحنيةَ المتمايلةَ نحو أشعّة الشّمسِ الباهتة. «حسناً سوف أنهض من جديد».

أسمع خطوات أقدامهم من بعيد، قلبي يخفق ببطء، نعم إنّهم قادمون... انتظرتهم طويلاً... أستنشق سيجارتي وأتلذّذ بطعم الوحدةِ معها. حفيدي طال انتظاري له من وراء الحدود، أنظر إليه من نافذةٍ صغيرةٍ وأتكلّم معه، ألاعبه... نعم إنّه ابني وزوجته وحفيدي الغالي... انتظرتهم سنواتٍ... صوت دقّات البابِ... ارتجلَ من الكرسيّ، مسك عصاه بقوّةٍ وفتح الباب... أقدامه أصبحت ترتجف... جديّ جديّ! وانهال عليه بالقُبلِ والأحضانِ. أبي... هل تسمعني! هل تسمعني؟ للحظةٍ توقّفَ المَشهدُ لينظرَ إلى ابنه... ماذا... اطلبْ روحي أُعطيك... أبي، لقد جئنا لنودّعكَ... تجمّدت دموعُه... ماذا تقول لا أسمعْ!

سوفَ نرحل بالقواربِ إلى بلادِ الأحلامِ لم يعد لنا مكانٌ هنا... لا تقلق يا أبي مجرّد سبعُ دقائقٍ سنصل.

قواربٌ تنمو بسطوع شموسِ الوقت المتباطئ وسطَ أحلامٍ وقصصٍ متناثرةٍ مضت وتبدّدت، لم تعد لها مكاناً بالوجودِ.

قواربٌ وضعت أثقالها في جزيرةِ الأحلامِ، وقصّت الأوراقَ الملوّنةَ لتصنع منها بيوتاً وأجنحةً وصناديق الألوانِ بطفولتها الخائفةِ.

طريقٌ طويلٌ جعلتها الأيّام مسافاتٍ منَ الجمودِ والفضاءِ المترامي وسطَ ركامِ الأجسادِ والرّؤوسِ المتراصّة وراء الحدود تبحثُ عن مصيرٍ مجهولٍ وصوتٍ قاتمٍ.

ضجيجٌ يمّلأُ المكانَ. قصصٌ طويلةٌ وأحاديثٌ كثيرةٌ تلمع في الأذهانِ. ضجيجٌ يمنحُ الخوفَ فرصةً للهروبِ ويجعلها حبيسةَ الأرواحِ المتراصّةِ والملتويةِ.

ضجيجٌ يجعلُ الأفقَ رعباً وبرودةً وسواداً، لكنّه يبقى أفضل من الصّمت. ضجيجٌ سبق العاصفة واضمحلَّ. ليأتي الصّياح من بعيد، جاءت القواربُ... هيّا ادفعوا الآن النّقود... اصطفّوا... النّساء والأطفالُ أوّلاً...

بدأ الصّمت يملأُ المكان، حان الموعد، القوارب تخور من بعيد، تمتلئ بالهواء... إنّها فكرةٌ تجريديّةٌ، قليل من الهواء والبلاستيك سوف يحملنا إلى جزيرةِ الأحلام... ربّما تكون مزيجاً من لا شيء، كالبالون، فقّاعةَ حلمٍ تلوّح من بعيد، ربّما مجرّد خوفٍ سيزول عندما تلامس أصابعُ أقدامنا الأرض... خوفٌ يصبح مجرّد ذكرى مرتعشة... خوفٌ يضمحلّ مع الأرواح المتراقصة المنتظرة قواربَ النّجاةِ... البحر ينادي من بعيد ويجزم بالأمواجِ الهائجةِ لم ترَ عيناه البحر أبداً، إنّه يرتجفُ. طفلٌ صغيرٌ لا يعرف سوى وعاءً صغيراً مملوءاً بالماء، يصنع قارباً ورقيّاً ويراقصه ويغنّي له في الوعاءِ... عيناه ترى ولأوّلِ مرّةٍ عُمقَ وزرقة المياه.... أبي... أبي، هل ستأكلنا الأسماك؟ ... أبي... أبي، أين نذهب؟ ... عيناه تائهتان... شاردتان... أبي... أبي... لا يسمع سوى صوتَ الموجِ والخوفِ.

لحظةُ صمتٍ مُطبق ملأ الأنفاس اللّاهثة والمختنقة... لحظةٌ... فيها

صورٌ وذكريات ملأتْ القلوبَ بحفنةٍ من تراب الأماكن... لحظةٌ... تلفظُ الأنفاسَ الأخيرة للرّحيل بلا عودة.

جلسوا جميعهم وعيونهم متجمّدة وأفواههم مزمومة، يتزاحمون على مكانٍ صغيرٍ فوقَ فقّاعةَ هواءٍ على موجٍ مترامٍ هائج... نعم لقد بدأت تلك الأمواج تتراقص حولنا هبوطاً وارتفاعاً... الجميع ينادي نحن وسطَ البحر، سنصل قريباً... نظرَ الطفلُ المسكين حوله، إنّه ليس مكاننا يا أبي... نظر إلى قدميه، مياه البحر تغمرُ جسده الصّغير، تلك المياه كانت تلعب معه لعبةَ الوعاء... تدريجيّاً ملأت المياه فقّاعةَ البالون ليصبح الغرقُ وشيكاً... الجميع يلفظُ كلماته ببطء، الفقّاعة تغرق، هيّا اسبحوا نحو الجزيرة... الطّفل... أبي... أبي... أين أنت، لا تتركني، إنّني أغرق في الوعاء... البحرُ يعشقُ جسدَ ذلك الطّفل، غمره بكلِّ لطفٍ، حمله على أمواجه بكلِّ حبٍّ، حضنه نحو أعماقهِ... لا تخف يا طفلي أنت لي، لقد تركوك وحيداً لا تخف... التّنفّس أصبح معدوماً والقلب أصبح يدقّ فقط كلَّ دقيقةٍ مرّة، بدأت الرّوح تناجي الجسد... لقد تركتُك، سأطير نحو السّماء، ستبقى وحيداً هناك في قاعِ الوعاءِ... لا تقلق جزيرتك تنتظرك هناك...

بقيَ العجوز قابعاً عند الباب ينتظر لقاءً آخر من نوع آخر، لترشد مصائبُ النفوس القلقة إلى مصيرها المتزامن مع صروح البقاء الضّائعةِ وسط الرّغبات والانفعالات.

شريعةُ الإنسانِ يصنعها خالقها، أمّا شريعةُ الخوف يبتدعها أرواحٌ مقهورةٌ تزور مقابرها في كلِّ جزءٍ من الانفعالات والزّمكان الملامسِ لفضاءاتٍ متمرّدةٍ نحو ظلمٍ إنسانيٍّ لا يعرفُ خطوط اللّانهاية وراء أفقٍ متهاوٍ، وطرقٍ وممرّاتٍ يختنق فيها الأمل ليشقّ طريقه إلى مثواه الأخير.

قارعـةُ الطّريـقِ المزدحـم بأصـواتِ الأرواحِ المبعثـرة تبحـث عـن طيورهـا المهاجـرة نحـو قلـبٍ ابتعـد عـن الـرّوح ودفـع ثمنهـا باهظـاً ليبـقَ وحيـداً قابعـاً في غرفـة مربّعـة ذو جـدران حديديّـة وسـقفٌ غزتـه غيـومٌ سـوداء مكفهـرّة تبحـث عـنّ مصيـر إنسـانٍ بلـغَ الخـوفُ فيّـه صوتـاً خفيّـاً ووجهـاً مجعّـداً بابتسـاماتِ الكـذبِ وروائـح العفـن المنتشـرِ تحـت الطّيـنِ المبلـولِ.

صنّـاعُ السّـعادةِ يبشّـرون بالأمـلِ القريـبِ وراءَ مصائـب الكـون المتتاليـة لينفصـل الـرّوح عـنّ البشـرِ مختبئـاً وراءَ الأحـلام... صنّـاعُ السّـعادةِ ينتظـرون سـبعَ دقائـقٍ ويرسـمون لوحـاتٍ بألـوانٍ علـى الصّقيـعِ المتراكـم فـي أرواحٍ تجـرّدت مـن أجسـادها لتبـقَ وحيـدةً هنـاك علـى صخـرةٍ جانـبَ أمـواج البحـر الهائـج.

قصص قصيرة جداً

القاص: أكرم ياور باجلان

خانقين كوردستان العراق

مستذئب

اكتملَ القمر، وفصل الرأسَ عن الجسد، ثم مسح يدهُ بملابس الضحية، فرفع سبابتهُ بانتشاء، وصاح في الحشد:

- تكبيييييير!

مستنقع

بعد أن تصفّح عدداً من كتب مكتبتي؛ استقر عند رواية (المصابيح الزرق) لحنّا مينا، فاستأذنني بإستعارتها؛ فوافقت على مضض. وبعد اسبوع طالبتهُ باستعادتها؛ فتعلّلَ بأنه لم ينتهِ من قراءتها. وذات يوم ذهبت لأشتري رواية (المستنقع) للكاتب نفسه؛ فوجدت ما لم يكن في حسباني (المصابيح الزرق) ترقد على أحد الرفوف وعليها توقيعي!

عِناد

ذات مرّة تشاجرتْ إحدى القصص مع عقلي، وأرادت أن تدخل رأسي عنوة؛ فتركتها ومضيتُ إلى قصيدة؛ فتبعتني وسدّت كافّة الطرق بوجهي، وسلبت كلماتي منّي؛ فتقربت منها وجاملتها وغازلتها؛ فتحابينا، وها هي الآن تجلس منتعشة في دماغي وتسردُ نفسَها لكم!

استرهاب

في الطريق إلى الجامعة الذي يقطع السوق إلى نصفين، وجدت الناس يسيرون بلا عيون، والآخرون (لهم أعيُنٌ لا يبصرون) وثمة صديق كنت أبحث عنه هناك رأيته واقفاً يبتسم وعلى صدره لافتة:

(أعيُنٌ للبيع)!

طوفان الألف

جاءت ورست على قمة الجودي، تحمل من كل زوجين اثنين، طارت حمامة ولحقها غراب، حطّا على البسيطة، وباتا يمرحان، قبل خمسة آلاف عام، واليوم يسألون: - من جاء بخبر اليابسة؟ الحمامة أَم الغراب؟!

غُربة

أمسك بمعولهِ القديم، وحفَرَ ما تحجّر من رأسهِ. فتحَ كوة في جدار ماضيهِ، فَوجَدَ وطناً ضائعاً في زوايا ذاكرتهِ.

السَبي الخليجي

للصحراء عمق لا ينتهي، وللبدوِ شجرة اليأس، وناقة شاردة، قال أحد الواقفين على حافة البئر: لا تخافوا لن أخبر (نبو خذ نصر) بما فعله السفهاء منكم، سوف أعرض إبهامكم على طاولة التطبيع، مطبوعة ومقطوعة!

مَوقف

لمّا أُقتيد إلى حبل المشنقة، شاهدَ عينيّ الجلّاد مغرورقتين بالدموع حين لف الحبل حول رقبته؛ فتذكّرقبيل الموت أنه أحد تلاميذهِ، حين كان معلماً للتربية الوطنية!

خطاب

قال الصمت: - ثمة باب يُفتح لك أيتها العاصفة؛ فلا تكسري أقفالَ القلب، لعلّ ما يدور خلف الباب من حوار جميل، يُسفِر عن عناقٍ ساخن!

تخفيف

وَجَدَ فردة حذاء فسأل: - لمنْ هذه؟

- لفقيركان يعاني من مرضٍ خبيث، لا يملك مالاً؛ فقطعوا قدمه المصابة؛ فَردَةٌ واحدة تكفي!

استبدال

خاطبه ناصحاً: - يا بُني المطيع؛ أعطِ لنفسكَ فرصةً واطرق باباً آخر، واترك كتابة الشعر؛ فلا يتقرّبُ منكَ حتى الجن! لكنّما الفقرُ يُقصّر العمرَ، وأغلب الشعراء فقراء!

صور

الساعة عشرون، واقف كالجدار أنتظر باص الدائرة، ذبابة تزعج أنفي، رجل مسن يترنح، صور المرشحين تملأ الشوارع، ابتسمت امرأة بوجهي وهمست أثناء صعودها الباص: - كلكم أغبياء متشابهون!

إصدارات جديدة

أحلام سوزيلان

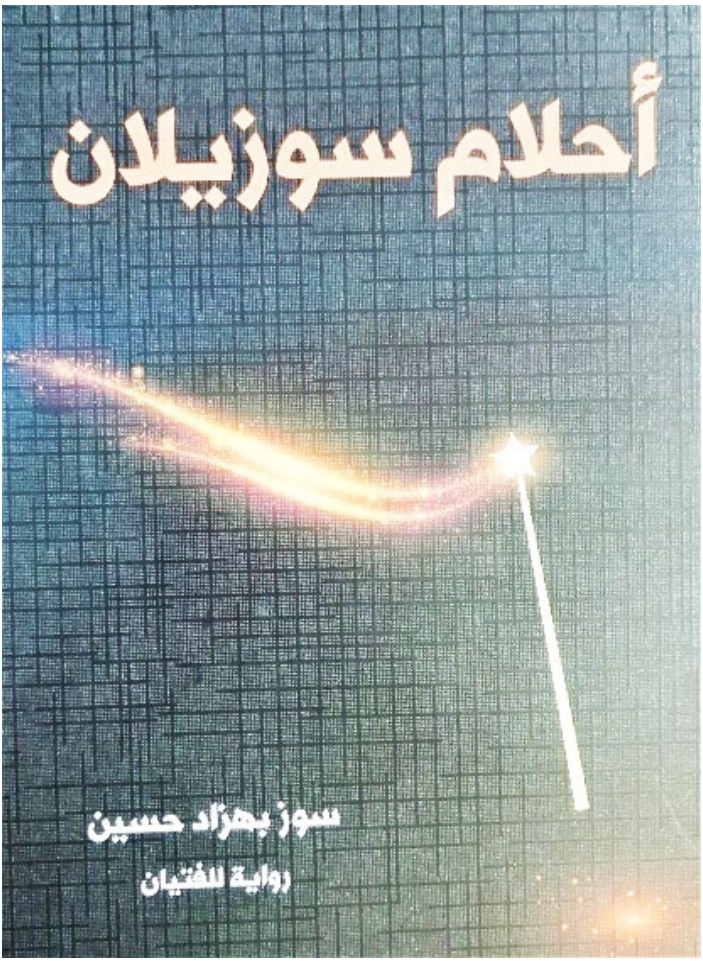

رواية للفتيان، كتبتها الشابة سوز بهزاد حسين وهي في الرابعة عشرة من عمرها، وصدرت مؤخرا ٢٠٢٢ في قامشلو. وقد قدم لها الروائي عبد المجيد خلف: «أحلام سوزيلان هي الرواية الممتعة والمثيرة للكاتبة سوز حسين، ولا أريد أن أقول عنها طفلة، لأنها تحمل قلباً كبيرا، وتمتلك خيالاً واسعاً، وخصباً، وقدرة رائعة على التعبير عما يجول في فكرها بطريقة مميزة...». تقع الرواية في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط. تروي قصة طفلة تريد أن تصبح ساحرة كي تستخدم السحر في أغراض الخير لكل البشر.

كـورد المهجر- الجزء الرابع

صدر الجزء الرابع من سلسلة كتب علي جعفر: كورد المهجر - بعض منشورات جمعية الطلبة الكرد في اوروبا باللغة العربية (١٩٥٦ ـ ١٩٧٥)

جاء هذا الجزء في ٥٣٦ صفحة من القطع الكبير، دار النشر: منشورات دار خاني للنشر والتوزيع، تصميم الغلاف وإخراجه: الفنان يحي سلو

تقديم الدكتور عبد المجيد روباري، والذي وصف فيه هذا الكتاب: في الجزء الرابع بذل الباحث جل جهده وطاقته المعنوية والمادية في تسليط الضوء على السلطة الرابعة للجمعية المذكورة، كمرآة ساطعة تعكس كل نشاتها والتي تصدرتها مجلة (دنكي كومولـه) (صوت الجمعية) الناطقة رسميا باسمها باللغة العربية حيث كانت تنشر فيها مقالات سياسية، تاريخية، أدبية قيمة بأقلام وطنية معروفة، ناهيك عن البيانات والرسائل الهامة وجميع الانشطة والفعاليات السياسية والتنظيمية التي كانت تقوم بها الجمعية. بالرغم من امكانات الجمعية المتواضعة بخصوص فن الصحافة وندرة الكادر الصحفي المتمرس. إلا أن بعض الاقلام الوطنية المثقفة استطاعت إغناء المجلة المذكورة بمقالاتها المتنوعة عن الاجزاء الاربعة من كردستان وفضح السياسة الشوفينية والرجعية لتلك الدول الغصبة لوطننا، كما انها أولت اهتماما ولو جزئيا بالعودة إلى تاريخ بعض الدوريات الكردية السابقة. وأضاف الدكتور عبد المجيد: لم يكتف الباحث بجمع المعلومات والوثائق فقط، بل حاول جاهدا مقارنتها وتحليلها... بعد سنوات من بذل الجهود المضنية واللقاءات المتكررة مع أبرز شخصيات الجمعية متحملا عبء الزيارات المتعددة إلى دول اوروبية مختلفة وكردستان الجنوبية ليحصل على أدق المعلومات من ألسنة أشهر نشطائها عن الجمعة المذكورة وليوثقها ثم يضيفها إلى تاريخ الحركة التحررية الكردستانية لتكون الأجزاء الأربعة من كتابه مادة خصبة ومراجع هامة للدراسات العلمية السياسية.

العلاقات العربية الروسية

ساهم في كتاب «العلاقات العربية الروسية... رؤى استراتيجية وتحليلية حول الدور الروسي في المنطقة العربية» عدد من الباحثين تضمنت محاور مختلفة: **كالدور الجيوسياسي لروسيا في الشرق الأوسط، والطموحات الروسية تجاه المنطقة العربية الأفريقية، والاستراتيجية الروسية تجاه المنطقة المغاربية، واقتصاديات النفط والغاز في الاستراتيجية الروسية بليبيا، وكذلك السعي لاستئناف الهيمنة الروسية على المنطقة العربية في ظل تعاظم النفوذ الإيراني.**

في دراسة بعنوان «الدور الجيوسياسي لروسيا في الشرق الأوسط... معطيات جديدة لفاعل قديم»، كتبت الدكتورة مي مجيب أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، عن مفهوم «القوة الحادة»، الذي يُستخدم في إطار وصف سياسات الاختراق الروسي لكثير من الأقاليم الجغرافية المجاورة، وإقليم الشرق الأوسط؛ وقالت إن روسيا أصبحت تتمتع بعلاقات مركبة مع الكثير من دول الإقليم، تنوعت ما بين أُطر التعاون الاقتصادي، ونُظم التعاقد التسليحي والعسكري، فضلاً عن مسارات الدعم الاستخباراتي المتبادلة.

ولفتت مي مجيب إلى أن هناك توجهاً روسياً جديداً نحو الشرق الأوسط، يهدف إلى تأمين النمو الاقتصادي المتسارع لموسكو، دعماً لدورها كقوة دولية كبرى، وتوظيف مخرجات هذا التحول لتأمين مصالح الأمن القومي الروسي، وتوسيع دائرة هذه الاستراتيجية على الصعيدين الإقليمي والدولي. وهو توجه أسهم في إدراك روسيا لفوائد إعادة تفعيل العلاقات التاريخية مع عدد من دول المنطقة وتطويرها مع البعض الآخر. من هنا يمكن القول إن السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط، حسب رأي مجيب، تأتي في سياق قوة عالمية تريد أن تمارس دوراً في المنطقة، وتحاول امتلاك مقعد على طاولة المفاوضات والقرارات الرئيسية،

ممـا يعنـي أن القـوة التـي ارتبطـت تاريخيّـاً بالتوسـع الروسـي مـا زالـت تُعـدّ عنصـراً أساسـياً مـن عناصـر الثقافـة السياسـية الروسـية فـي ظـل عـدم قبولهـا أن تُصنـف كقـوة عالميـة مـن الدرجـة الثانيـة، ولهـذا سـعت روسـيا إلـى مزاحمـة الولايـات المتحـدة الأميركيـة فـي المنطقـة، والحصـول علـى جـزء مـن عمليـات التجـارة، والاضطـلاع بـدور فـي الاسـتقرار الإقليمـي.

الكورد والارهاب

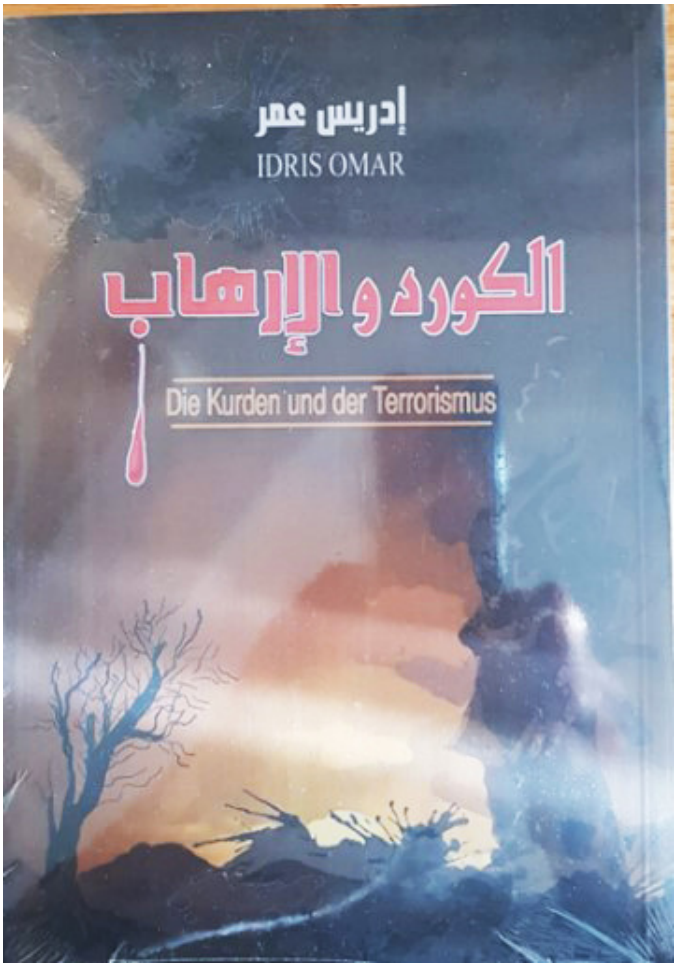

صدر حديثا للباحث الكوردي ادريس عمر كتاب بعنوان «الكورد والإرهاب» عن مكتبة خانى بدهوك كوردستان العراق. ويتضمن الكتاب بين دفتيه بعدد صفحات (٢٢٥ صفحة من الحجم الكبير). راجع الكتاب لغويا الباحث حيدر عمر. في حين قام الفنان الكاريكاتوريست يحيى سلو بتصميم الغلاف معبرا عن مضمونه. كما قدم للكتاب الأكاديمي محمد عامر الديرشوي المختص بالاستشراق والعلوم السياسية. وقد ورد في تقديمه: إن السيرة الشخصية للمؤلف تؤهله أن يكون ضالعا في الكتابة عن التطرف والإرهاب. فالمؤلف ناشط سياسي يتتبع التطورات في المنطقة ويقرأها بعمق. إضافة إلى ذلك، وإن لم يصرح به هو في كتابه ولم يتطرق إلى من أضطهدوه، فالمؤلف بذاته ضحية من ضحايا الإرهاب الجسدي والفكري، فهو قد تعرض إلى إرهاب الدولة السورية وإرضطهاد مجموعة إيديولوجية كان هو يعمل في صفوفها. وإن إنعكست هذه التجربة المرة للمؤلف مرات كثيرة على طريقة كتابته، المصطلحات خاصة، إلا أن الحلول التي يقدمها هي حلول حكيمة ومنطقية وعلى منهجية «صد من غير الإنتقام بالمثل» المنهج الذي يصفه في آخر فصل من كتابه.)

قسم المؤلف كتابه الجميل إلى أربعة فصول وهي: الفصل الأول ماهية التطرف الإيديولوجي والارهاب والفصل الثاني: العلاقة بين التطرف والإرهاب والفصل الثالث: نماذج من الحركات الإرهابية في العالم والفصل الرابع: الكورد والاسلام والإرهاب.

وقد أفصح الباحث ادريس عمر عن هدفه من البحث: أما بعد ظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وتأسيسها ثقافة العنف والإرهاب، حيث إن أعمال القتل، والحرق، والتدمير، والتهجير، وغيرها، أصبحت جزءاً من الحياة اليومية لها، خاصة من خلال بثِّ مظاهر قطع رؤوس البشر، وحرقهم، وهم أحياء في أقفاص حديدية. على مرأى من الملايين من

الناس. لقد بثَّت هذه المناظر الخوفَ والرعب في نفوس السكان، الذين يقطنون المناطق التي تسيطر عليها.

حينها بادر إلى ذهني دراسة هذه الظاهرة من كل جوانبها، والوقوف بشكل خاص على دور الكرد، ومقاومتهم ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ليس دفاعاً عن أرضهم فحسب، بل دفاعاً عن البشرية جمعاء. وحماية الكثير من المجتمعات الأوروبية والأمريكية، من هجماتها، ومن عمليات التفجير والعمليات الانتحارية من قبل هؤلاء الذين شكلوا خطراً كبيراً على المجتمعات الديمقراطية والحضارية. لقد رأى العالم كيف سطر أبطال الكرد الملاحم البطولية ضد هؤلاء الهمج القرووسطيين، وكيف تم الانتصار عليهم بشجاعة يندر لها مثيل. ولكن الضريبة كانت كبيرة وكبيرة جداً، وهي دماء أبناء الكرد الأبرار، الذين بذلوها في ساحات المواجهة، وكتبوا أسماءهم في سجلِّ الخالدين في التاريخ المعاصر، منطلقين من ثقافة التسامح التي عُرِف بها الشعب الكوردي ضد ثقافة التوحُّش والهمجية، التي جسَّدتها، ومازالت تجسِّدها الدولة الإسلامية (داعش).

باختصار يعد هذا الكتاب رؤية كوردية للإرهاب ويقدم المؤلف اضافات جديدة وجديرة بالاهتمام والمطالعة فهو وبالإعتماد على المصادر يناقش التطرف والإرهاب، والفرق بينهما، الأسباب التي تجعلهما ينتشران. ويقدم الحلول المنطقية للحد من ظاهرتي التطرف والإرهاب. أما على صعيد المنطقة وكردستان فالكتاب يتتبع بروز مجموعات ما يطلق عليها بالإسلام السياسي في كردستان، يذكر أسباب عدم تمكنها من الإنتشار في غرب كردستان ويذكر أهم المجموعات في جنوب كردستان العراق.

الفهرس

الافتتاحية		
بدايةُ تشكُّلِ نظامٍ عالميّ جديدٍ	أسرة التَّحرير	٤
ملف العدد: **الحوارالكوردي- العربي: الضرورات الاجتماعية والسياسية** (٤)		
إسماعيل عمر: داعية السلم والحوار		٨
الحوار العربي الكردي... هل يكفي ذلك؟	د. أحمد الدرزي	٣١
القضية الكردية هي أيضاً... قضية عربية (٢)	د. جمال الأتاسي	٣٩
كن مع الأكراد ستربح...	محمد الأصفر	٥٤
دراسات		
كورد منطقة آليان نموذجاً لمجتمع الفلاحين في سهول الجزيرة الفراتية (١)	د. آزاد احمد علي	٥٩
شخصيات كوردية		
شخصيات معاصرة: المناضل رشيد حمو	محمد كرداغي	٧٩
شخصية تاريخية من أسلاف الكورد: الملكة أوقنيتوم Uqnitum	رستم عبدو	٨٣
قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق		
جريمة اغتيال الصدر الأعظم مدحت باشا	نواف بشارعبد الله	٩٣
من تاريخ الإعلام الكوردي		
في ذكرى مرور ثلاث وثمانون سنة على تأسيس الاذاعة الكوردية في بغداد	جمال برواري	١٠٨
أدب وفن		
إلى هذا العالم .... عربون لعنة رواية (بوق) للروائي الليبي محمد الأصفر	محمد دلي	١١٤

قصة		
سبعُ دقائق... رحيل إلى بلاد الأحلام	نتالي عمر	١٢٣
قصص قصيرة جداً	أكرم ياور باجلان	١٢٩
إصدارات جديدة		
أحلام سوزيلان		١٣٤
كورد المهجر- الجزء الرابع		١٣٦
العلاقات الروسية العربية		١٣٨
الكورد والإرهاب		١٤١

مشـهد للملكـة أوقنيتـوم تظهـر فيهـا برفقـة ابنتهـا وزامينـا ووصيفاتهـا إلى جانـب العازفـات، مـن أوركيـش عاصمـة المملكـة الحوريـة في الألـف الثانـي ق. م.